دكتور على على السكرى

أسرار الوحوش الخفية والإنسان العملاق

دار المعارف

تصميم الغلاف : عزيزة مختار

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. م. ع.

مقدمة

هذا كتاب عن «الوحوش الخفية والإنسان العملاق» تلك الحيوانات الضخمة المفترسة التى اختلف العلماء فى وجودها رغما عن أن قلة قليلة من الناس رأوها رؤية العين. أما بالنسبة للإنسان العملاق بالغ الطول والضخامة والقوة فقد رآه بعض الناس رؤية حقيقية وقاموا بقياس طوله وأبعاده ومعرفة أخلاقه وتعاملوا معه، من هذا المنطلق فإن وجود الإنسان العملاق يصبح واقعاً مؤكداً.

الغرض من هذا الكتاب إثبات وجود الوحوش الغامضة من أمثال الديناصور والرخ والصناجة والتنين وغيرها، وأن هذه الحيوانات لم تنقرض تماما من ملايين السنين كما زعم علماء الجيولوجيا، وإنما ظل بعض أنواعها حيا باقيا معاصرا لوجود الإنسان، بل أن هناك احتمالاً كبيراً بأن قلة نادرة منها مازالت موجودة للآن تعيش ببعض الغابات النائية مثل غابات الأمازون بأمريكا الجنوبية أو أدغال وبحيرات وسط أفريقيا. كذلك من أهداف الكتاب إثبات وجود جنس عملاق من بنى الإنسان من نسل قوم عاد وتتبع خطوط هجرته وتنقلاته وإثبات مقاييسه بوحدات القياس الحديثة ووصف شكله وقوته والتعرف على سلوكياته، ومدى تأقلمه مع الوسط الإنسانى المعتاد والمحيط به.

اعتمد الكتاب الحالى فى ذكر الوحوش الغريبة والإنسان العملاق على الكتب العربية الإسلامية القديمة لمؤلفين كبار من أمثال القزوينى والدمشقى والدميرى. وقد يقول البعض إن ما ورد بهذه الكتب القديمة بخصوص المخلوقات العجيبة هو نوع من الأساطير. لكن الواقع أنها ليست أساطير لأنها رؤيت رؤية العين وتم التعرف عليها وقياس أبعادها فى بعض الحالات، إنما اعتبرت هذه الروايات من قبيل الأساطير أثناء ثورة الانتقال من ظلمات القرون الوسطى إلى أنوار العلم المبنى على المشاهدة والتجربة

بأوائل القرن التاسع عشر حيث أطاحت الثورة العلمية ببعض المعطيات القديمة. وإذا كان لهذه الدعوى الرافضة ما يؤيدها فى الماضى فقد أصبح لزاما على العلماء الآن أن يعودوا لمعطيات الكتب القديمة بعين فاحصة ونظر واعتبار. يقول العقاد فى كتابه «الإنسان فى القرآن (١٩٩٧)»: «ولعل الكشوف الكثيرة التى تعاقبت خلال القرن التاسع عشر وتبين منها أن روايات الأقدمين لم تكن كلها من قبيل الأساطير قد أقنعت أكثر الباحثين بأن الرفض بغير برهان أضر بالبحث من القبول بغير برهان لأن الذى يجزم برفض خبر قديم إنما يحكم بالاستحالة على الممكنات الكثيرة التى تجوز ولا تمتنع فى العقول، وخير منه عقلا من يقبل شيئا ممكنا وإن لم يقم البرهان على وقوعه فعلا كما وقع غيره من الممكنات».

يتضمن كتاب الوحوش الخفية والإنسان العملاق اثنتى عشر فصلا موزعين على جزئين بيانها كالآتى: الجزء الأول الخاص بالوحوش الخفية يشمل سبعة فصول: هل عاصر أسلافنا أواخر الديناصورات؟- أسلاف الأفيال بأرض الشام – الصناجة: أكبر حيوان برى عرفه الإنسان – التنين العجيب – الديناصورات الطائرة – الرخ.. طائر عملاق بائد – عجائب النبات والحيوان بجزيرة القمر (مدغشقر). أما الجزء الثانى من الكتاب والخاص بالإنسان العملاق فيشمل خمسة فصول: لغز الإنسان العملاق بأوروبا – عماليق من بلاد الرافدين – عماليق مكة – عماليق من صحراء وبار – آدم أبو البشر: هل كان عملاقا؟

الكتاب مفيد ومثير لرجل الشارع كما أنه ذو أهمية خاصة لعلماء وباحثى علم الحيوان والنبات وعلماء ودارسى علم الإنسان والأجناس والمهتمين بعلوم الجيولوجيا والجغرافيا والتاريخ، والله نسأل أن يوفقنا دائماً لما فيه الخير للجميع.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الحق تبارك وتعالى فى سورة الأنعام/ آية ٣٨:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾

صدق الله العظيم

ويقول تعالى فى سورة الأعراف/ آية ٦٩:

﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

صدق الله العظيم

الجزء الأول

الوحوش الخفية

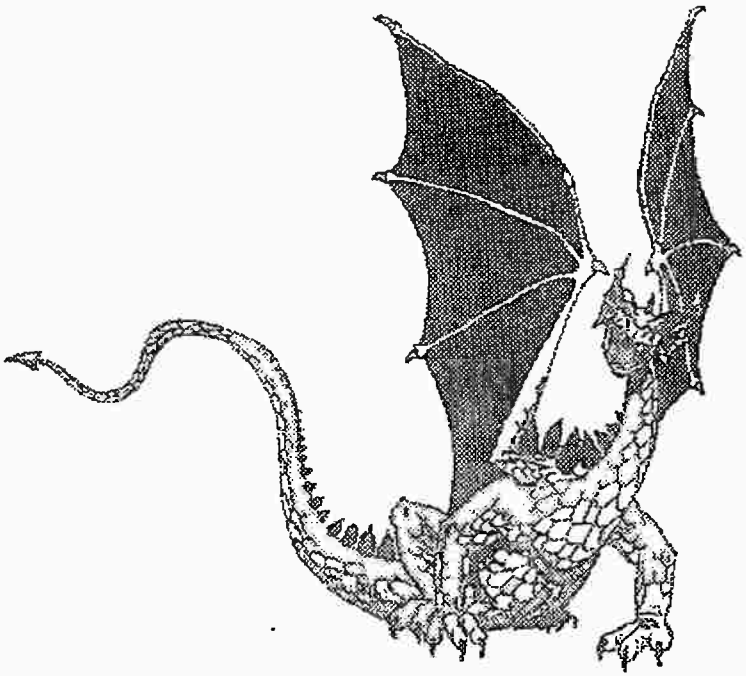

الفصل الأول

هل عاصر أسلافنا أواخر الديناصورات ؟

انتشر فى الآونة الأخيرة الحديث عن الديناصورات وأشكالها الغريبة وأنواعها المتباينة وأحجامها الهائلة فقد وضعت لها بحدائق الحيوان العالمية نماذج مجسمة متحركة وكذلك بالمعارض المختلفة كما أن هياكلها العظمية الكاملة موجودة ببعض المتاحف العالمية (شكل ١-١و١-٢). ومن حين لآخر يعثر العلماء هنا أو هناك على بيض الديناصورات وهو بيض كبير الحجم أبيض اللون ويعكفون على دراسته وتقدير عمره.

التعريف بالديناصورات

وللقارئ أن يتساءل ما هى الديناصورات؟ نقول إن الديناصورات هى نوع من مجموعة من الحيوانات الزاحفة البائدة وقد انتشرت انتشاراً واسعاً خلال حقب الحياة الوسطى (الميزوزوى) وعلى الخصوص فى الزمن الجوراسى والكريتاوى أو الطباشيرى حيث اختفت منذ ٧٠ مليون سنة من الآن، وتضم الديناصورات أكبر الحيوانات الأرضية المعروفة للآن (معجم الكلية القياسى، ١٩٦٣). وكلمة ديناصور تعريب بتحريف لكلمة دينوصور، وهى كلمة يونانية قديمة منحوتة من شقين: السابقة دينو وتعنى مرعب أو ضخم، واللاحقة صورس وتعنى سحلية أى أن المصطلح اليونانى القديم يعنى السحلية الضخمة. من المعروف أن الديناصورات منها أنواع برمائية وأنواع أرضية وأنواع طائرة (حسن صادق، ١٩٢٩)، (شكل ١-٣ و١-٤ و١-٥).

أهتم العلماء مؤخرا بكيفية إبادة الديناصورات ووضعوا لذلك نظريات متعددة. إحدى هذه النظريات تقول إن الديناصورات بأحجامها الضخمة واحتياجها لكميات كبيرة من الغذاء النباتى والحيوانى لم تتمكن من التكيف أو التأقلم مع البيئة المحيطة لذلك اندثرت واختفت. وهناك نظرية

أخرى حديثة وشائعة تقول إنه حدث أثناء حقب الحياة الوسطى أى زمن وجود هذه الحيوانات الكبيرة سقوط نيزك ضخم أو كويكب على الأرض الأمر الذى تسبب عنه تطاير سحابة ممتدة من الغبار حجبت ضوء الشمس عن الأرض لفترة طويلة مما نشأ عنه هلاك النبات والحيوان وبالتالى هلكت الديناصورات التى تتغذى عليها.

- والسؤال الآن هل اندثرت تماما حيوانات الديناصور منذ أزمنة سحيقة أم تمكنت بعض أنواعها من الحياة حتى عاصرت الإنسان؟ وللإجابة على هذا السؤال نستمع إلى الحكاية التالية التى أوردها الإمام القزوينى بأحد مؤلفاته.

حكاية القزوينى عن التتين العجيب

يقول الإمام زكريا بن محمد بن محمود القزوينى (المتوفى سنة ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣ م) فى كتابه المسمى آثار البلاد وأخبار العباد، وتحت باب حلب ما نصه :

«وحكى بعضهم أنه ظهر بأرض حلب سنة أربع وعشرين وستمائة (٦٢٤ هـ/ ١٢٢٦ م) تنّين[١] عظيم بغلظ منارة[٢] وطول مفرط، ينساب[٣] على الأرض يبلع كل حيوان يجده، ويخرج من فمه نار تحرق ما تلقاه من شجر أو نبات، واجتاز على بيوت أحرقها والناس يهربون منه يمينا ويسارا حتى انساب قدر اثنى عشر فرسخا[٤]، فأغاث الله تعالى الخلْق منه بسحابة نشأت ونزلت إليه فاحتملته[٥]، وكان قد لف ذنبه فى كلب فيرفع الكلب رفعة[٦] والكلب يعوى فى الهواء والسحاب يمشى به، والناس ينظرون إليه إلى أن غاب عن الأعين، قال الحاكى: رأيت الموضع الذى انساب فيه كأنه نهر».

فى النص السابق بعض المصطلحات والتعبيرات التى تحتاج لشرح وتفسير حتى نتبين المعنى المقصود منه ونستطيع تحديد نوعية الحيوان

الذى يتحدث عنه الكاتب بدقة وربط الموضوع علميا بتطور الكائنات الحية الماثلة على الأرض واختفاء بعض أنواعها. هذه المصطلحات عددها ستة وبيانها كالآتى :

(١) **تنّين** : حيوان أسطورى يجمع بين الزواحف والطير، ويقال: له مخالب أسد وأجنحة نسر وذنب أفعى، ويتخذ فى بعض البلاد رمزا قوميا. والتنّين جنس من العظاء (السحالى)، له رجل أو يد فيها أربعة أظفار على نسق، وخامسة فى الكف، وفى رأسه جمة شعر، ومنه ضرب بحرى (المعجم الوسيط – الجزء الأول، ١٩٧٢).

(٢) **المنارة** : المئذنة، والمنارة ما يقام فى الموانى لتهتدى به السفن (المعجم الوسيط – الجزء الثانى، ١٩٧٣). وجملة بغلظ منارة أى أنه بضخامة وارتفاع مئذنة المسجد، وهذا يدل على أن الحيوان ذو ارتفاع ملحوظ وربما له ما يشبه السنام أو حراشيف كبيرة على ظهره.

(٣) **ينساب على الأرض** : يستدل من هذا التعبير أنه حيوان زاحف ذو ذنب. وقد تأكد هذا المعنى مرتين أخريين بالنص المذكور «حتى انساب قدر اثنى عشر فرسخا» وفى «رأيت الموضع الذى انساب فيه كأنه نهر». والتعبير الأخير الذى فيه إشارة إلى أن الموضع الذى انساب فيه الحيوان كأنه نهر يدل على ثقل جسم الحيوان وضخامته حيث تركت حركته على الأرض علامة مميزة فى هيئة أخدود طويل.

(٤) **الفرسخ** : يكافئ الفرسخ العربى القديم حوالى ستة من الكيلومترات الحالية (جيولوجية القمر، على السكرى، ١٩٨٠). وبناء عليه فإن المسافة التى زحفها هذا الحيوان الضخم = ١٢×٦ = ٧٢ كيلو متر. وهى مسافة كبيرة نسبيا زحفها الحيوان المشار إليه قبل أن يطير ويختفى عن الأنظار.

(٥) **فأغاث الله تعالى الخلْق منه بسحابة نشأت ونزلت إليه فاحتملته**: أى أن هذا الحيوان الزاحف هو طائر فى نفس الوقت. ويتأكد هذا المعنى مرة أخرى فى قول كاتب النص «والسحاب يمشى به».

(٦) وكان قد لف ذنبه فى كلب فيرفع الكلب رفعة : تشير هذه الجملة كما سبق أن أوضحنا أن للحيوان ذنب ولكنه ذيل طويل لأنه لف ذنبه على الكلب ورفعه رفعة ملحوظة وكذلك فإن الكلب «يعوى فى الهواء».

وإذا حاولنا أن نرسم – بناء على النص القزوينى – صورة لهذا الحيوان العجيب أو التنّين كما سماه المؤلف قلنا إنه حيوان عظيم الحجم مرتفع ذو طول مفرط وذنب طويل ووزن ثقيل زاحف وطائر فى نفس الوقت ويتغذى على الحيوانات الأصغر. أليست هذه الصفات تنطبق بالضرورة على الديناصور؟ لاشك أن هذا الحيوان الذى تحدث عنه القزوينى هو نوع من الديناصورات الزاحفة الطائرة التى قيل عنها إنها حيوانات بائدة. ولا يمكن أن يكون أحد المخلوقات الفضائية حيث واضح من صفاته المذكورة أنه حيوان وليس كائنا ذكيا عاقلا كما أنه لا تصحبه أية أطباق طائرة.

هذه الحكاية عن الإمام القزوينى وهو رجل عالم فقيه ذو ثقة لاشك فى روايته وهى تدل على وجود نوع من حيوانات الديناصور ظلت حية وموجودة حتى أوائل القرن الثالث عشرَ الميلادى. معنى هذا أن الديناصورات لم تنقرض دفعة واحدة من الأرض مع نهاية العصر الطباشيرى منذ ٧٠ مليون سنة وإنما ظل نوع منها حيا يعيش على الأرض حتى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى وبعدها اختفى تماما هذا الحيوان.

ويقترح كاتب هذه السطور أن هذا النوع من الزواحف الطائرة العملاقة (شكل ١ – ٥) كان يعيش فى أصقاع آسيا المتجمدة (سيبريا) وأصقاع أوروبا الشمالية حيث تم حديثا الكشف عن الهيكل العظمى لحيوان الإيجوانودون وهو نوع من الديناصورات كان يشبه الكنجارو الحالى من حيث قصر يديه وطول رجليه وقد وجدت منه نماذج فى بلجيكا تبلغ طول الواحدة منها عشرة أمتار وطول الذيل وحده خمسة أمتار (شكل ١–٣) (حسن صادق، ١٩٢٩).

إن وجود الهياكل العظمية للديناصورات فى بلجيكا يدل على أن بعض هذه الحيوانات استقر بشمال غرب أوروبا وبصفة عامة استوطن الأصقاع الشمالية المتجمدة فى آسيا وأوروبا منذ القدم إلى أن ابتدأت آحاد من هذه الحيوانات الهجرة مؤخرا إلى أرض الشام حيث ظهرت بمدينة حلب ورآها الناس هناك ثم اختفت طائرة وكان هذا آخر العهد بها. وجاء العالم القزوينى وسجل الحدث فى مرجعه المشار إليه والمسمى آثار البلاد وأخبار العباد عام ١٢٢٦ ميلادى.

الخلاصة

تشير نتائج هذه الدراسة إلى أن نوعا من حيوان الديناصور ظل حيا حتى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى معاصرا لوجود الإنسان ذاته على الأرض، وهذه نقطة تحتاج إلى مزيد من إلقاء الأضواء عليها من جانب العلماء والباحثين. معنى هذا الاستنتاج أن الديناصورات لم تختف مرة واحدة منذ ٧٠ مليون سنة وإنما ظل أحد أنواعها حيا حتى وقت متأخر نسبيا.

من ناحية أخرى فإن شكوكا كبيرة تلقى الآن على النظرية التى نادت بإبادة الديناصورات عن طريق ارتطام أحد الكويكبات بالأرض ونشوء سحابة كثيفة وكبيرة من الغبار حجبت ضوء الشمس عن الأرض وتسببت فى النهاية فى هلاك هذه الحيوانات العملاقة. فلو كانت هذه النظرية صحيحة لانقرضت الديناصورات كلها دفعة واحدة ولم يتبق منها شىء يعاصر وجود الإنسان على الأرض. والأجدر أن نقول إن هذه الديناصورات بأحجامها الضخمة لم تتلاءم مع ظروف المعيشة السائدة من حولها ولذلك هلك معظمها من زمن بعيد بينما استمر وجود قلة منها حتى وقت متأخر نسبيا معاصرا لوجود الإنسان ذاته على الأرض.

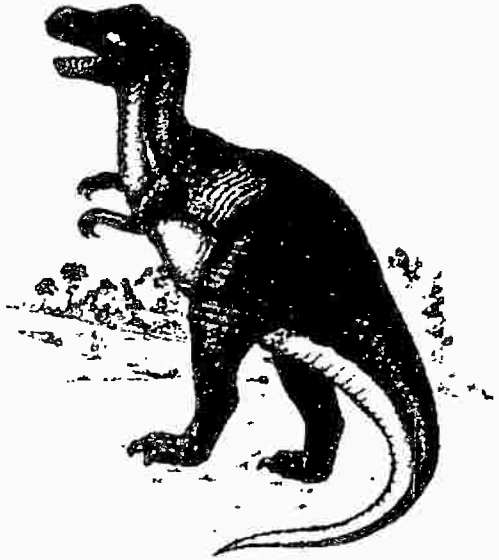

شكل (١-١) : نوع من الديناصورات البائدة واسمه تيرانوصورس .

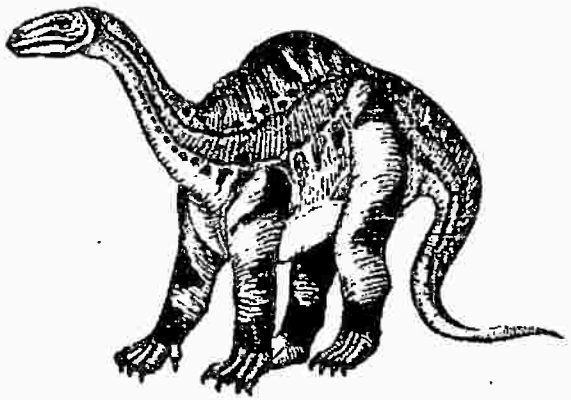

شكل (١-٢) : نوع آخر من الديناصورات البائدة وهو بلاتيوصورس .

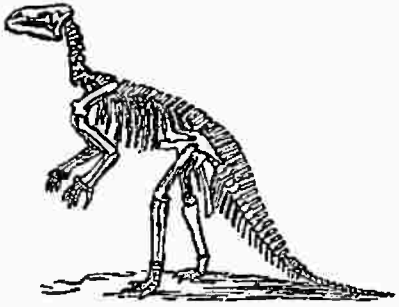

شكل (١-٣) : هيكل عظمي للايجوانودون وهو يشبه الكنجارو حيث أن يديه قصيرة ورجليه طويلة .

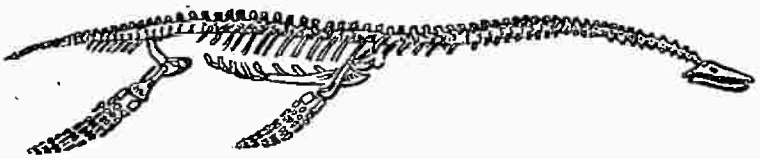

شكل (١-٤) : هيكل عظمي لحيوان البليزبوصورس وهو يشبه السحلية العملاقة .

شكل (١-٥) : هيكل عظمي لحيوان البتروداكتيل وهو نوع من الزواحف الطائرة أشبه بالخفاش وكان يطير بواسطة غشاء قوى يمتد من خنصر اليد إلى الجسم فيقوم بعمل الجناح .

الفصل الثانى

أسلاف الأفيال بأرض الشام

الأفيال من الحيوانات الثديية الكبيرة التى عاشت على الأرض منذ أزمنة سحيقة، وقد تطورت هذه الحيوانات الضخمة من أسلاف عجيبة الشكل غريبة المنظر منذ العصور الجليدية أى منذ عصر البليستوسين الذى ابتدأ من حوالى مليونين من السنين.

هذه الأسلاف غريبة الخلقة والتكوين قد انقرضت الآن ولم يعد موجودا غير الفيل الحالى المعروف بشكله التقليدى الضخم وجلده السميك وخرطومه الطويل وأنيابه العاجية التى يتنافس الصيادون فى اصطياده من أجلها.

ورغما عن الإجماع العلمى بأن أسلاف الأفيال التى كانت موجودة بسيبيريا والمناطق المتجمدة بشمال أوروبا وألاسكا مثل حيوان الماموث والماستودون قد انقرضت منذ آلاف السنين إلا أن هناك احتمالا بأن بعض أنواعها ظل حيا قائما معاصرا لوجود الإنسان الحديث. وقد وردت الإشارة بوجود مثل هذا الحيوان العجيب الذى يعتبر من أسلاف الأفيال بكتاب «آثار البلاد وأخبار العباد» من عمل الإمام العالم زكريا بن محمد بن محمود القزوينى المتوفى سنة ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣ م، والطبعة الحديثة من هذا الكتاب القيم من منشورات دار صادر ببيروت (١٩٩٢). ولنستمع الآن إلى رواية القزوينى فى كتابه المشار إليه عن هذا الحيوان العجيب.

حكاية التنين ذو الأنياب الكبيرة

يقول الإمام القزوينى فى كتابه آثار البلاد وأخبار العباد تحت عنوان جانبى: نابلس، صفحة ٢٧٧، وننقل كلامه حرفيا لأهميته فى تاريخ علم الحياة القديمة وخاصة علم الأحافير الفقارية، يقول القزوينى ما نصه:

«ذكر بعض مشايخ نابلس أنه ظهر هناك تنين[1] عظيم فتوسل[2] الناس فى هلاكه، وكان شيئا هائلا له ناب عظيم، فعلقوا نابه هناك ليتعجب الناس من عظمها وليس باصطلاحهم التنين[3]، فعرف الموضع بها وقيل نابلس[4]».

هل يمكن تحديد نوعية الحيوان الذى تحدث عنه النص السابق؟ لكى نصل إلى هذا الغرض فلابد من شرح بعض المصطلحات والتعبيرات التى وردت بالنص وعددها أربعة نوضحها فيما يلى.

(١) **التّنين** : حيوان أسطورى يجمع بين الزواحف والطير وله أجنحة نسر وذنب أفعى، ومنه ضرب بحرى (المعجم الوسيط – الجزء الأول، ١٩٧٢). .

(٢) **فتوسل الناس فى هلاكه**: أى اتخذوا وسائل مختلفة لقتله.

(٣) **وليس باصطلاحهم التنين** : أى ليس بحوزتهم.

(٤) **نابلس** : هذا الاسم مكون من مقطعين وفقا لحكاية القزوينى (ناب + ليس) ومعناه ناب بدون وجود جسم الوحش.

والقصة تدور حول وحش عظيم الحجم (تنين عظيم.. وكان شيئا هائلا) له أنياب كبيرة (له ناب عظيم)، هذا الوحش ليس من نوع الأفيال المعروفة حاليا لأنه لو كان كذلك لوصفوه بأنه فيل وليس تنين، كذلك فهو ليس من نوع الخرتيت وإلا لوصفوه بأنه ذو قرن أو اثنين، والقرون غير الأنياب حيث تنبت الأولى فى أعلى الرأس أما الثانية فتبدأ من الفم. ويؤخذ فى الاعتبار أن هذا الحيوان العجيب يختلف عن الديناصورات لأنها بدون. ويلاحظ أن كلمة تنين التى وردت بالنص تشير إلى حيوان أسطورى غير مألوف الشكل ونرجح أنه من بقايا الحيوانات الثديية الضخمة من أسلاف الأفيال التى بادت وانقرضت، (شكل ٢–١).

كذلك يلاحظ أن الراوى ذكر أن «له ناب عظيم» مما يوحى أن الحيوان له ناب واحد فقط، وهذا مستبعد فقد تكون كلمة «ناب عظيم» اسم جنس يدل الواحد منه على ما عند الحيوان من أنياب وهما نابان فى العادة، وقد يكون الناب الآخر تعرض للكسر ولذلك بدا الحيوان بناب واحد.

نستنتج من القصة أنه مرّ بمدينة نابلس بالشام فى وقت سابق على القرن الثالث عشر الميلادى حيوان ثديى ضخم الجثة غريب الشكل ذو أنياب كبيرة ويمكن أن يكون هذا الحيوان أحد أسلاف الأفيال وما شابهها من حيوانات ضخمة مثل الخرتيت أو وحيد القرن، (شكل ٢-٢). وقد تمكن مواطنو المدينة من كسر ناب هذا الوحش العملاق وعلقوه بمدينتهم بينما تمكن الوحش نفسه من الإفلات والهرب، ومن هنا سميت المدينة باسم نابلس.

الحيوانات ذات الأنياب

رب سائل يقول: لكن ما هى أنواع الحيوانات ذات الأنياب سواء كانت من الحيوانات الحديثة أو من الحيوانات القديمة البائدة؟ نحاول من خلال السطور التالية حصر أهم هذه الحيوانات مبتدئين بما هو معروف حاليا. لاشك أن حيوان الفيل الحديث وبالذات ما يسمى بالفيل الأفريقى هو أشهر الحيوانات الثديية ذات الأنياب البارزة. ويلاحظ فى هذا الفيل الحديث أن أنيابه بارزة (طويلة بعض الشيء ولكنها ليست مفرطة الطول) مثل ما هو معروف عن أسلاف الفيل من حيوان الماموث ذو الشعر الصوف. وهناك نوع من النمور يطلق عليه النمر ذو الأنياب الحسامية أى أن أنيابه قاطعة باترة مثل حد السيف (معجم الكلية القياسى، ١٩٦٣، صفحة ١١٨٠) وإن كانت أنيابه قصيرة بالنسبة لأنياب الفيل الحديث.

تم الكشف مؤخرا عن وجود نوع من الثيران النادرة بأنياب بارزة. وفى هذا الصدد تقول مجلة العلم (العدد ٢٤٣، ١٩٩٦، صفحة ٥٠) مانصه: وقد

جـهزت الطبيعـة الحيوانـات، المفـروض أنـها حيوانـات عشـبية مسـالة، بوسائل فعالة للدفاع عن نفســها فـى بيئتـها القاسـية. فـالحيوان العمـلاق مونتجاك الذى يشبه البقرة (الثور) إلى حد ما، مجهز بالإضافـة إلى قرونـه الحادة، بأنياب طويلة تبرز من جانبى فمه والتى كان يستخدمها للدفـاع عن نفسه أثناء معاركه الدامية مع الحيوانات المفترسة التى تشاركها عالمها. غير أن أنياب هذا الثور قصيرة بالنسبة لأنياب الفيل الحديث. هناك أيضا بعض القطط الوحشـية (سميلـودون) ذات أنيـاب حسـامية قاطعـة ولكنـها انقرضـت الآن (ويليـام مـاتيوس، ١٩٦٧)، وأنيابـها قصـيرة صغـيرة مثـل جسمها.

أما الحيوانات البائدة ذات الأنيـاب الكبـيرة فمنـها المـاموث ذو الشـعر الصوف والماستودون، وإن كانت أنياب هذا الأخير أقل طـولا مـن أنيـاب الأول. ومن الحيوانات الثديية الضخمـة البـائدة التـى تجمـع بـين القـرون والأنياب الحيوان المسمى يوإنتا ثيروريوم (ويليام ماتيوس، ١٩٦٧). ونحن نميل للرأى أن نوعا من هذا الحيوان الأخير الغريب بأنياب طويلة هو الذى مرّ بمدينة نابلس وتمكن الأهالى من كسر نابه الكبير وعلقوه هناك. ويؤخـذ فى الاعتبار أن هذه الحيوانات العجيبـة تجمـع بـين خصـائص الخرتيـت والفيـل وكـانت بشـعر وصـوف وهـى حيوانـات منقرضـة لا تشـبه أيـا مـن الحيوانـات الموجـودة اليـوم (شـكل ٢-٢). كذلـك تنطبـق أوصـاف هـذه الحيوانات إلى حد كبير مع ما ذكره القزوينى فى حكايته عن التنين العظيم ذو الأنياب الكبيرة.

أحافير أسلاف الأفيال بأرض بلغاريا

فى رواية ثانية، تحدث القزوينى فى كتابه المشار إليه أعلاه عن وجود أحافير فقارية لحيوانات ثديية ضخمة من أسلاف الأفيـال، يقـول المؤلـف تحت باب بلغار، (صفحة ٦١٢ - ٦١٤)، ما نصه:

قال أبو حامد (الأندلسى): «رأيت سنا واحدة عرضها شبران وطولها أربعة أشبار (؟)، وجمجمة رأسه كالقبة، وتوجد تحت الأرض أسنان مثل أنياب الفيلة بيض كالثلج، ثقيلة فى الواحدة منها مائتا من (حوالى ١٥٩ كيلو جرام)، لايدرى لأى حيوان هى، فلعلها من دوابهم (أى دواب العماليق) تحمل إلى خوارزم».

وما دامت رؤوس هذه الحيوانات المتحفرة كبيرة كالقبة ولها أنياب مثل أنياب الفيلة فهى غالبا تشير إلى وجود أحافير فقارية لنوع من الحيوانات الثديية المنقرضة من أسلاف الأفيال كانت تعيش بجنوب أوروبا وبالمناطق المتجمدة الشمالية. الأمر الذى يعطى دليلا جديدا بوجود مثل هذه الحيوانات الضخمة الغريبة الشكل فى أوروبا ثم انحدار أحد أنواعها متجها إلى الجنوب حتى تمكن منه أهل مدينة نابلس بالشام.

وجود حيوانات غريبة اليوم بالمناطق النائية

فى هذا السياق تقول مجلة العلم (ديسمبر ١٩٩٦) فى مقال مترجم بعنوان : «كنوز المناطق المجهولة»، مشيرة إلى احتمال وجود حيوانات غريبة بالمناطق النائية اليوم ما نصه: وفى القارة القطبية المتجمدة أنتاركتيكا والأصقاع الجليدية البعيدة فى سيبريا وألاسكا تنتشر بين الصيادين والسكان الذين يعيشون على أطراف تلك المناطق، روايات وحكايات وأساطير غريبة، مثل غابات «شانجرى لا» الأسطورة والتى يؤكد الصيادون وجودها فى المناطق دائمة الجليد حيث تتجمد التربة، ويصبح من المستحيل نمو الأشجار أو أى نوع آخر من النبات، ومثل حيوانات ضخمة تشبه الماموث جد الفيل، وحيوانات أخرى لم يشاهدوها من قبل.

هكذا نرى أن الاتجاه يتزايد نحو إمكانية وجود مثل هذه الحيوانات الضخمة الغريبة البائدة من أسلاف الفيل وذلك بالمناطق الشمالية الباردة من آسيا وأوروبا بل إن الظن قائم بأن بعضها مازال موجودا للآن.

الخلاصة

تسجل الرواية التى أوردها القزوينى، كاتب القرن الثالث عشر الميلادى، بمؤلفه المسمى آثار البلاد وأخبار العباد وجود حيوان من الحيوانات الثديية الضخمة غريب الشكل ذو أنياب كبيرة مرّ بمدينة نابلس بأرض الشام، هذا الحيوان يمكن أن يكون أحد أسلاف الأفيال أو ما شابهها من حيوانات كبيرة مثل الخرتيت أو أحد الحيوانات العجيبة التى تجمع بين صفات الخرتيت والفيل وهى حيوانات منقرضة لا تشبه أيا من الحيوانات الموجودة اليوم.

يستفاد من القصة أن أسلاف الأفيال لم تنقرض تماما منذ نهاية عصر الجليد أو البليستوسين أى منذ عشرة آلاف سنة، وإنما ظل بعض أنواعها موجودا بشمال أوروبا وآسيا وبأرض الشام معاصرا لوجود الإنسان الحديث. ويؤكد هذا الاتجاه اليوم ما يشاهده الصيادون والسكان فى بعض مناطق سيبريا وألاسكا النائية من وجود حيوانات ضخمة غريبة الشكل تشبه الماموث أحد أسلاف الأفيال.

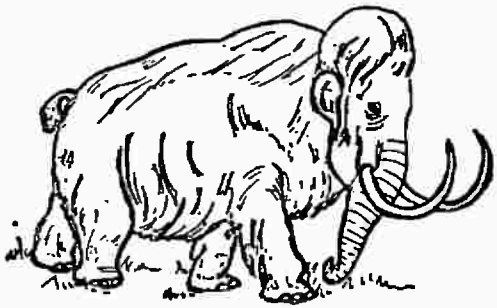

شكل (٢-١) : حيوان الماموث ذو الشعر الصوف. أحد أجداد الأفيال وهى حيوانات ثديية من عصر البليستوسين الذى ابتدأ من مليونين من السنين وانتهى من عشرة آلاف سنة.

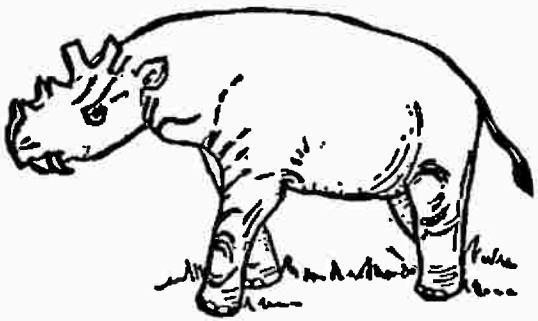

شكل (٢-٢) : حيوان اليوانتا ثيريوم غريب الشكل وهو من الثدييات الضخمة التى تنتمى لحقب الحياة الحديثة والتى انقرضت الآن. شكل ٢-١ و٢-٢ من كتاب الجيولوجيا مبسطة لمؤلفه وليام ماتيوس الثالث (١٩٦٧).

الفصل الثالث

الصَناجة

أكبر حيوان برى عرفه الإنسان

من المعروف أن الديناصورات هى أكبر حيوانات برية ظـهرت وعاشـت على الأرض غـير أن العلمـاء يظنـون أنـها اندثـرت منـذ ٧٠ مليـون سـنة. أظهرت بعض الدراسات الحديثة أن نوعا من حيوان الديناصور ظـل حيـا ومعاصرا لوجود الإنسان وهذا يعنى بـالضرورة أن الديـنـاصورات لم تختـف مرة واحدة منذ ٧٠ مليون سنة إنما ظل بعـض أنواعـها حيـا وباقيـا حتـى وقت متأخر نسبيا (هل عاصر أسلافنا أواخر الديناصورات؟ ١٩٩٧).

فى الدراسة الحالية نقدم دليلا جديدا على وجود حيوانات برية عملاقة يفوق حجمها وحـوش الأرض المعروفـة حاليـا وقـد شـاهدها بعـض النـاس وسجلها عدد من العلماء فى كتبهم. من ذلك حيوان الصناجة الـذى ذكـره العالم القزوينى (توفى سنة ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣ م) بموسوعته المسماة: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. كذلك ما ذكـره عـالم آخـر هـو الدمـيرى (توفى سنة ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م) فى كتابه الموسـوم حيـاة الحيـوان عـن نفـس الوحش ألا وهو الصناجة.

صناجة فى كتاب عجائب المخلوقات للقزوينى

ذكر الإمام زكريا بن محمد بن محمود القزوينى فـى كتابـه عجـائب المخلوقات – الجزء السابع، صفحة ٣٢٧ و ٣٢٨ حيوان صناجة فنراه يقول:

صناجـة[١]:حيـوان لا يقبـل وصفـه كثـير مـا لم يـره[٢].

قالوا: ليس شيء من حيوانات الأرض أكبر من صناجـة[٣] ،

قالوا: يوجد بأرض التبت ، يتخذ بيتا لنفسه قرب فرسخ[٤].

ومن خواصه : أن نظره إذا وقع على حيـوان مـات ذلـك الحيـوان، وإذا وقـع نظـر شـيء مـن الحيـوان عليـه تمـوت

الصناجة أيضا. ثم أن الحيوانات عرفت ذلك فى تلك البلاد، فتعرض نفسها على الصناجة غامضة عينها، ليقع نظر الصناجة عليها فتموت، فتبقى طعمة للحيوانات زمانا طويلا[٥]، والله أعلم.

فى النص السابق عدد من المصطلحات والعبارات تحتاج إلى شرح وتوضيح حتى نفهم مقصد المؤلف من النص المكتوب، ونضع هذا الشرح فى نقاط خمس بيانها فيما يلى:

(١) **صناجة** : صنج أى ضرب بالصنوج، والصنج : صفائح صفر (نحاس) صغيرة مستديرة تثبت فى أطراف الدف أو فى أصابع الراقصة يدق بها عند الطرب، جمع صنوج. الصناج: صاحب الصنج أو اللاعب به والصّناجة: مبالغة فى الصّناج، ولم يذكر عنها شىء بالمعجم كحيوان (المعجم الوسيط – الجزء الأول، ١٩٧٢).

(٢) **حيوان لا يقبل وصفه كثير ما لم يره**: أى أن هذا الحيوان لا يتقبل وجوده كثير من الناس وأن كان معروفا للبعض أو معروفا لقلة من الناس.

(٣) **ليس شىء من حيوانات الأرض أكبر من صناجة**: أى أن هذا الحيوان المعروف باسم صناجة أكبر حجما من كل الوحوش المعروفة كالفيل والأسد والدب وغيرهم، ومثل هذا الحيوان غير معروف حاليا.

(٤) **يتخذ بيتا لنفسه قرب فرسخ**: الفرسخ العربى يكافئ حوالى ستة من الكيلومترات الحالية (جيولوجية القمر، ١٩٨٠، ص ٢١). معنى هذا أن بيته يصل طوله إلى حوالى ستة كيلو مترات وهذا أمر مبالغ فيه وإن كان يعبر عن ضخامة حيوان صناجة ويعبر أيضا عن وجود أنفاق طويلة تحت الأرض للدخول إلى جحره وأخرى مماثلة للخروج.

(٥) **فتبقى (صناجة بعد موتها) طعمة للحيوانات زمانا طويلا**: هذا تعبير مختلف عن ضخامة حيوان صناجة بدليل أنه يظل بعد موته طعاما للوحوش المفترسة مدة طويلة.

يحتوى النص السابق على ثلاث تعبيرات يقوى بعضها بعضا وتدل جميعا بصفة مؤكدة على ضخامة حيوان صناجة. أولى هذه التعبيرات «ليس شيء من حيوانات الأرض أكبر من صناجة» وثانيها «يتخذ بيتا لنفسه قرب فرسخ» وثالثها «وتبقى أى صناجة بعد موتها طعمة للحيوانات زمانا طويلا». ويبدو أن اسم صناجة إما أنه يشير إلى حيوان ضخم ذو جلد حرشفى كبعض الزواحف أو زوائد حرشفية بارزة على ظهره فى هيئة صنوج الغناء والطرب، وإما أنه يشير إلى أن هذا الحيوان يصدر عنه أثناء سيره أو زحفه على الأرض أصوات موسيقية مثل التى تصاحب دق الصنوج. وقد تكون هذه الأصوات نتيجة الاحتكاك بين جسده المحرشف بالأرض وبالأشجار أو نتيجة احتكاك صفى الحراشيف البارزة على ظهره.

يمكن أن نوجز وصف حيوان صناجة بناء على النص القزوينى بأنه حيوان ضخم أكبر من كل حيوانات الأرض المعروفة حجما وهذه الحقيقة وحدها تدخله بداهة فى فصيلة الديناصورات. ومما يؤكد هذا الاتجاه أن جسمه قد يكون محرشفا مثل معظم الزواحف وهو يوجد بأرض التبت وجحره كبير بممرات طويلة للدخول والخروج. ورغما عن قلة الوصف العلمى بالنص إلا أنه من الممكن جدا أن يشير إلى أن حيوان صناجة ما هو إلا واحد من أنواع الديناصورات العديدة التى عاصرت وجود الإنسان (شكل ٣-١).

الصناجة فى كتاب حياة الحيوان للدميرى

ذكر كتاب حياة الحيوان – الجزء الخامس (١٩٩١) لمؤلفه كمال الدين محمد بن موسى الدميرى حيوان الصناجة (صفحة ٧٧٣) فنراه يقول:

> الصناجة : قال القزوينى فى «الأشكال»: ليس شيء أكبر من هذا الحيوان، وهو يكون بأرض التبت، وهذا الحيوان يتخذ لنفسه بيتا بقدر فرسخ فى الأرض فى فرسخ.

وكل حيوان وقع بصره عليه مات فى الحال، وإذا وقع بصر الصناجة عليه ماتت الصناجة. والحيوانات تعرفه فتعرض له مغمضة العين، ليقع بصر الصناجة عليها فتموت. وإذا ماتت تبقى طعمة للحيوان مدة طويلة.. وهذا من عجائب الوجود.

النص الدميرى السابق عن حيوان الصناجة ليس إلا تكرارا حرفيا لكلام القزوينى من قبله ولم يأت بجديد بخصوص وصف الحيوان أو نوعيته وإن كان يؤكد وجوده بصفة عامة. وقد استشهد الدميرى ببعض النصوص الأدبية القديمة التى استعملت كلمة صناجة وقام بشرح معناها وبيان مناسبتها. هذا وقد أطلقت العرب كلمة صناجة على كل من يحدث الطرب مثل الطرب الذى يصدر عن ضرب الصنوج والهاء فى صناجة للمبالغة حيث أن الأصل كلمة صنّاج، وقد أطلقت الكلمة على بعض الشعراء لأن شعره يتغنى به.

حيوانات أخرى عملاقة قديمة وحديثة

كما أسلفنا بصدر هذا الفصل فإن الديناصورات كانت أكبر الحيوانات البرية التى عاشت على سطح الأرض بالزمن الماضى، ويعتبر الحوت حاليا أكبر حيوانات الأرض برا وبحرا. ومع هذا فقد ظهرت حيوانات أخرى عملاقة قديما، وحديثا منها ما عاصر و جود الإنسان مثل تنين حلب الضخم الذى ظهر أوائل القرن الثالث عشر الميلادى (هل عاصر أسلافنا أواخر الديناصورات؟ ١٩٩٧) ومثل حيوان صناجة النادر الذى سجل العالم القزوينى وجوده بكتابه عجائب المخلوقات ومنها حيوانات أخرى نذكرها بعد.

أعلنت جريدة الأخبار بعددها الصادر بتاريخ ١٩٩٧/٤/٢٧ وفى باب عالم غريب (الصفحة الثانية) نبأ العثور على هيكل فيل عملاق وذلك

تحت عنوان: فيل عملاق بالمصادفة، وجاء بالخبر: بالمصادفة عثر عمال إنشاءات أثناء أعمال الحفر لأساسات أحد المبانى على هيكل عظمى لفيل عملاق يرجع تاريخه إلى ٧٠ ألف سنة فى بلدة كيكندا على مسافة ٢٠٠ كيلومتر شمالى بلجراد (جمهورية يوغسلافيا السابقة). ذكرت صحيفة بوليتيكا اكسبريس أن ارتفاع هذا الفيل يبلغ حوالى أربعة أمتار وطوله سبعة.. وقال مدير المتحف الطبيعى فى بلجراد أن طول كل ناب من نابيه وهما فى حالة ممتازة يبلغ ٣,٥ متر وأن الهيكل العظمى للفيل العملاق سيعرض بالمتحف فى ربيع العام القادم.

هناك أيضا خبر ثان مثير نشر بجريدة الأخبار بتاريخ ١٩٩٧/٨/٢٠ تحت عنوان: مخلوق غريب، وجاء بالخبر: أكد سكان قرية نيفوتاكنا الصغيرة فى غابة الأمازون (أمريكا الجنوبية) أنهم رأوا حيوانا زاحفا عملاقا يصل طوله إلى أربعين مترا وعرضه خمسة أمتار. وقد وصف سكان القرية المشهد الغريب بقولهم: أظلمت السماء وبدأت الأرض تهتز والريح تعصف عندئذ ظهر هذا المخلوق الذى يشبه الأفعى الضخمة واتجه الحيوان بصخب مفزع مقتلعا الأشجار وكأنه جرّافة إلى نهر الأمازون وألقى بنفسه فى النهر فأحدث دوامة هائلة أدت إلى غرق عدد من الزوارق. وأشار سكان القرية إلى أن ذلك يدعم خرافة هندية تقول إن هناك مخلوقا غريبا يختبئ فى نهر الأمازون.

فى خبر ثالث نشر بجريدة الأخبار بتاريخ ١٩٩٧/٩/٢ فى باب عالم الغد، يقول الكاتب تحت عنوان «ديناصور ثمنه خمسة ملايين دولار» ما نصه: وتختلف أحجام الديناصورات من العملاق الكبير الذى يصل طوله إلى ٢٧ مترا ووزنه بين ٥٠ إلى ٧٠ طنا إلى الصغير الذى لا يتعدى حجمه الدجاجة. وكان منها من يتغذى على النباتات ومن يفضل اللحوم ولا يتردد فى التهام الصغار من أفراد نوعه.

هكذا نرى أن وجود الحيوانات العملاقة لم ينقطع عبر الزمن: فمن عصر الديناصورات إلى الأفيال العملاقة إلى الحيتان البحرية إلى تنين حلب الكبير إلى حيوان صناجة الضخم إلى زواحف الأمازون العملاقة البرمائية الحالية. هذا كله يدل بصفة مؤكدة على أن وجود الحيوانات العملاقة على وجه الأرض لم ينقطع بمرور الزمن وإن كان أخذ يتناقص تدريجيا مع تقدم الوقت إلى أن أصبح وجوده حاليا نادرا قاصرا على بعض المناطق النائية من الأرض مثل سيبريا أو غابات الأمازون بأمريكا الجنوبية.

الخلاصة

تُقرر الدراسة الحالية وجود حيوان برى عملاق يسمى صناجة سجل وجوده أولا العالم القزوينى بكتابه المعنون «عجائب المخلوقات» بالقرن الثالث عشر الميلادى. هذا الحيوان النادر ضخم الجثة بدليل وصفه بأنه «ليس شيء من حيوانات الأرض أكبر من صناجة»، أى أنه أكبر حجما من كل وحوش الأرض المعروفة مما يجعله يدخل عن جدارة فصيلة الديناصورات. وجسم صناجة قد يكون محرشفا وهو يوجد بأرض التبت وجحره كبير بممرات طويلة للدخول والخروج. وأكد مصنّف آخر هو العالم الدميرى بأوائل القرن الخامس عشر الميلادى فى كتابه حياة الحيوان وجود وحش الصناجة.

إن تواتر وجود الحيوانات العملاقة معاصرة للإنسان ابتداء من تنين حلب الكبير إلى حيوان صناجة الضخم بالتبت إلى زواحف الأمازون العملاقة الحالية يدل على أن وجود هذه الحيوانات ظل مستمرا عبر الزمن إلى الوقت الحالى وإن كانت أعدادها تتناقص باستمرار إلى أن أصبح وجودها بالوقت الحاضر نادرا وقاصرا على المناطق المتطرفة من الأرض، وبالتالى فلا يستطيع أحد الادعاء بأن الديناصورات قد انقرضت تماما منذ ٧٠ مليون سنة ولكن المؤكد أن بعض أنواعها مازال باقيا للآن.

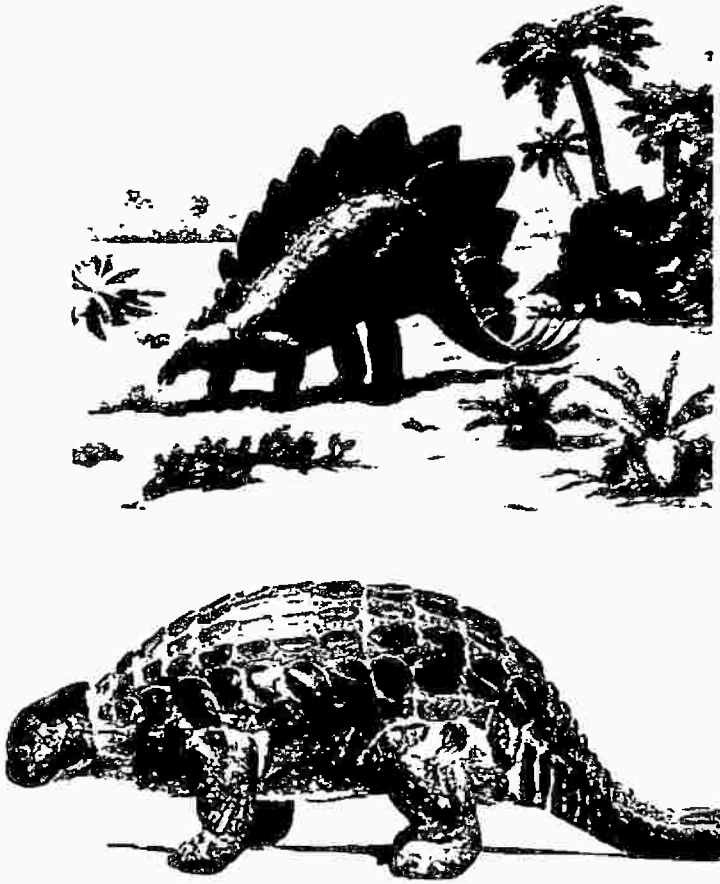

شكل (٣-١) : صور تخيلية لحيوان الصناجة وهو نوع من الديناصورات. لاحظ الجلد المحرشف فى الحالتين مع وجود الصفائح الحرشفية البارزة المسلحة على ظهر الحيوان الأول. كتاب تاريخ الحياة. تأليف: أ. لى مكالستر (١٩٦٨).

الفصل الرابع

التنـــين العجـــيب

اختلف العلماء فى حقيقة وجود التنين: هل هو حيوان أسطورى خرافى أم أنه حيوان حقيقـى كـان لـه وجـود علـى الأرض مـع سـائر الحيوانـات والوحوش؟ كذلك اختلفوا فى تحديد أوصافه: هل هو حيوان زاحـف بـرى أم أنه طائر أم أنه حيوان بحرى؟ أم أنه يجمع هذه الصفات كلها؟ وتوقـف الناس طويلا أمام التنين: هل هو حيوان ضخم الجثة مخيف المنظـر أم أنـه عادى الحجم مقبول الشكل؟ وهل هو نوع من الثعابين الضخمة أم نـوع مـن الحيوانات البحرية الكبيرة؟ تحـاول الدراسـة الحاليـة الإجابـة علـى هـذه الأسئلة وغيرها بالنسبة لحيوان التنين الذى تتخذ منـه بعـض البـلاد رمـزا قوميا لقوته وبأسه وتعدد إمكانياته

والآن هيا بنا نرى ما كتبه عالم كبير هو كمال الديـن محمـد بـن موسـى الدمـيرى (توفـى سـنة ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م) فـى كتابـه المسـمى «حيـاة الحيوان» عن التنين، (١٩٩١).

مقالة الدميرى عن التنين

يقول العالم الموسوعى الدميرى فى كتابـه المشار إليـه أعـلاه وهـو حيـاة الحيوان- الجزء الثانى، صفحة ٢٧٣ - ٢٧٤، عن حيوان التنين ما نصه:

> التنين: ضرب من الحيات كأكبر مـا يكـون منـها، وكنيتـه أبو مرداس. وهو أيضـا نـوع مـن السـمك. وقـال القزوينـى فـى «عجـائب المخلوقـات»: إنـه شـر مـن الكوسج[1]. فـى فمـه أنياب مثل أسنة الرماح. وهو طويل كالنخلة السـحوق، أحمـر العينين مثل الدم، واسع الفم والجوف، براق العينين، يبتلـع كثيرا من الحيـوان، يخافـه حيـوان البر والبحـر. إذا تحـرك يموج البحر لشدة قوته.

وأول أمره يكون حية متمردة تأكل من دواب البر ما ترى. فإذا كثر فسادها احتملها ملك وألقاها في البحر[٢]. فتفعل بدواب البحر ما كانت تفعله بدواب البر فيعظم بدنها، فيبعث الله إليها ملكا يحملها ويلقيها إلى يأجوج ومأجوج[٣].

روى عن بعضهم أنه رأى[٤] تنينا طوله نحو من فرسخين[٥]، ولونه مثل لون النمر، مفلسا مثل فلوس السمك، بجناحين عظيمين على هيئة جناحي السمك[٦]، ورأسه كرأس الإنسان، لكنه كالتل العظيم[٧]، وأذناه طويلتان، وعيناه مدورتان كبيرتان جدا.

كعادتنا دائما مع مثل هذه النصوص القديمة المقتبسة، نبدأ بشرح ما احتوته من كلمات وتعبيرات صعبة حتى يسهل الفهم ويستقيم المعنى وعدد هذه الكلمات والتعبيرات سبعة بيانها كالآتي:

(١) **الكوْسج** : سمكة بحرية كبيرة، لها هيكل غضروفي يمتاز بمقدم طويل مفلطح كالنصل، على جانبيه أسنان منشارية، وهذه السمكة تكثر في مياه المناطق الحارة وهي من السمك المفترس (المعجم الوسيط – الجزء الثاني، ١٩٧٣).

(٢) **فإذا كثر فسادها (بالبر) احتملها ملك وألقاها في البحر:** هذه العبارة يمكن أن تدل على أنه بعد نمو الحيوان بالبر حتى طور معين فإنه يتجه إلى البحر للمعيشة به ولمواصلة النمو في طور آخر.

(٣) **فيبعث الله إليها ملكا يحملها (من البحر) ويلقيها إلى يأجوج ومأجوج:** قد تفيد هذه العبارة وصول حيوان التنين إلى طور ناضج معين أثناء معيشته بالبحر حيث يخرج منه طائرا باتجاه البلاد والممالك الشمالية الشرقية.

(٤) **روى عن بعضهم أنه رأى تنينا:** هذا التعبير يفيد أن البعض قد رأى حيوان التنين رؤية العين أى رؤية حقيقية، الأمر الذى يعنى الوجود الفعلى الحقيقى لهذا الحيوان العجيب.

(٥) **طوله نحو من فرسخين:** الفرسخ العربى يكافئ حوالى ستة من الكيلومترات الحالية (جيولوجية القمر، ١٩٨٠، ص ٢١). أى أن طول التنين المزعوم حوالى ١٢ كيلومترا وهذا أمر مبالغ فيه ومستبعد، وإن كان يدل على الطول المفرط للحيوان وأنه من نوع الثعابين الكبيرة.

(٦) **بجناحين عظيمين على هيئة جناحى السمك:** من المعروف أن السمك ليس له أجنحة بل له زعانف على الجانبين. وقد يكون المقصود أن أجنحة حيوان التنين بعد نموها هى أجنحة غشائية مثل زعانف السمك وليست أجنحة ريشية.

(٧) **ورأسه كرأس الإنسان لكنه كالتل العظيم:** إذا كان رأس التنين وحده كالتل العظيم، فما بالك بحجم الحيوان كله؟ لاشك أن حيوان التنين الموصوف بهذا النص ضخم الجثة كبير الحجم وإن كان بعض صفاته الواردة مبالغا فيها.

هناك تضارب فى وصف حيوان التنين كما هو ظاهر من النص السابق. فتارة هو حيوان برى من نوع الحيات والثعابين لكنه كبير البدن طويل الجسم ضخم الجثة. وتارة هو نوع من الأسماك المفترسة طويل الجسم كذلك واسع الفم والجوف يبتلع كثيرا من حيوان البحر. وتارة ثالثة هو زاحف يطير فى الهواء بأجنحة غشائية. والصفة المشتركة التى تجمع الصور الثلاث لحيوان التنين هو أنه ضرب من الثعابين أو الحيات سواء كانت برية أو بحرية أو طائرة بالإضافة إلى ضخامة الجسم.

روى عن بعض الناس أنه رأى تنينا طويلا ضخما، والظاهر أنها رؤية حقيقية بالعين تفيد الوجود الفعلى لهذا الحيوان. وقد بالغ الراوى فى تقدير طول التنين حتى قال إنه حوالى ١٢ كيلومترا، وما نستنبطه من هذا الوصف أنه غير واقعى يحمل بين طياته تقديرا خاطئا لطول الحيوان وإن كان يعبر عن طوله المفرط .. ويستطرد الراوى أن التنين عليه فلوس مثل فلوس السمك أى أن جسمه محرشفا أو مرقطا ببقع داكنه وهى صفات لبعض أنواع الثعابين. كما أنه ذو جناحين غشائيين عظيمين على هيئة زعانف الأسماك الكبيرة يحملانه فى الهواء عند الطيران، ورأسه كبيرة كالتل العظيم، الأمر الذى يستوجب أن يكون حجم الحيوان كله ضخما.

تعريف التنين بالمراجع

وردت تعريفات متباينة لمصطلح التنين بالمراجع المختلفة. ونستعرض هنا تعريف مصطلح التنين فى ستة مراجع قديمة وحديثة حتى يتضح تماما المقصود من هذه التسمية وتطور معناها مع الزمن. والمراجع الستة هى: «رسائل إخوان الصفا» (٣٥٠ هـ/ ٩٦١ م) – كتاب «فقه اللغة» للثعالبى (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨ م) – «كتاب نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر» للدمشقى (ت ٧٢٧ هـ/ ١٣٢٦ م) – «تذكرة داود الأنطاكى» (ت ١٠٠٨هـ/ ١٦٠٠ م) – «معجم الكلية القياسى» وهو معجم باللغة الإنجليزية (١٩٦٣) – وأخيرا «المعجم الوسيط» إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٧٣).

وصف إخوان الصفا فى رسائلهم (المجلد الثانى فى الجسمانيات الطبيعيات) حيوان التنين فقالوا: هو حيوان عظيم الخلقة عجيب الصورة طويل القامة عريض الجثة هائل المنظر مهول المخبر تخافه وتهابه حيوانات البحر أجمع لشدة قوته وعظم صولته. إذا تحرك تحرك موج

البحر من سرعة سباحته، كبير الرأس براق العينين واسع الفم كثير الأسنان يبلع من حيوانات البحر عددا كثيرا لا يحصى. وإذا امتلأ جوفه منها واتخم تقوس والتوى واعتمد على رأسه وذنبه ورفع وسطه خارجا من الماء مرتفعا فى الهواء مثل قوس قزح يشرق فى عين الشمس ويستروح بحرّها ليستمرئ ما فى جوفه. وربما عرض له وهو على هذه الحالة غشيه. وتنشأ سحابة من تحته ترفعه فترمى به إلى البر فيموت وتأكل من جثته السباع أياما.

فى كتاب «فقه اللغة» للثعالبى (١٨٨٥) ذكر السف وهى الحية التى تطير فى الهواء وأنشد:

وحتى لو أن السِّف ذا الريش عضنى لما ضرنى من فيه نـاب ولاثغـر

وقال بعضهم إن الحية التى تطير هى من أنواع التنين.

أما كتاب «نخبة الدهر» للدمشقى (١٩٢٣) فيصف البحر الأسود ويذكر التنين به المشاهد فى السحاب فى سماء هذا البحر ويقول: وكثيرا ما يظهر بهذا البحر التنين.. وزعم آخرون أن التنانين دواب تكون فى قعر البحر فتعظم وتؤذى ما فيه من دابة فيبعث الله السحاب والملائكة فتخرجها من البحر (أى تخرجها طائرة) وتلقيها فى أرض يأجوج ومأجوج فيأكلوها، والتنين يوجد فى البحر الرومى وبحر الخزر وبحر ورنك بكثرة وكذلك فى سواحل المحيط بالأندلس.

وفى كتاب «تذكرة داود» الأنطاكى وهو طبعة مصرية (١٩٢٦) يقول عن التنين إنه اسم لما عظم من الحيات وكانت له رجل أو يد فيها أربعة أظفار على نسق وخامسة فى الكف إذا جرح بها قتل بنزف الدم وفى رأسه جمة شعر، والبحرى على صورته إلا أن له زبانا مثل زبان العقرب يلسع بها (وكلها حارة يابسة فى الرابعة) قتّالة لا يؤكل منها شىء.

دراجون Dragon كلمة بالإنجليزية تعنى تنين وهى مشتقة من الكلمة اليونانية دراكون وتعنى ثعبان (معجم الكلية القياسى، ١٩٦٣). ويضيف المعجم المذكور فى تحديد معانى الكلمة خلال السياق الحالى: (١) وحش خرافى يشبه الثعبان ومجنح (٢) وفى الإنجيل كلمة تفهم بمعانى مختلفة مثل: زاحف كبير أو وحش بحرى أو ابن آوى (٣) فى علم الحيوان: واحدة من العديد من السحالى الأسيوية الصغيرة تعيش بالشجر (فصيلة دراكو) قادرة على التزحلق فى الهواء أو الطيران بواسطة زوائد جلدية مثل الأجنحة، وتسمى كذلك السحلية الطائرة.

«فى المعجم الوسيط» – الجزء الأول (١٩٧٢) جاء فى تعريف كلمة تنين أنه حيوان أسطورى يجمع بين الزواحف والطير ويقال له مخالب أسد وأجنحة نسر وذنب أفعى، وباقى الوصف كما ورد بتذكرة داود الأنطاكى، (شكل ٤–١).

يظهر لنا من هذه الدراسة أن التنين حيوان حقيقى وليس أسطورى كان وربما مازال لبعض أنواعه الصغيرة وجود بمناطق أسيوية. أما الأنواع الكبيرة منه فغالبا قد باد معظمها واندثر معاصرة لوجود الإنسان حتى العصور الوسطى. ويأخذ التنين فى المراجع أشكالا مختلفة: فتارة هو ثعبان أو حية ضخمة وتارة هو زاحف من نوع السحلية أو الحرباء ضخم الرأس كبير الجثة، (شكل ٤–٢)، وتارة يطير بأجنحة ريشية أو غشائية، وحينا يكون من وحوش البحر وقد يكون من وحوش البحر الطائرة بأجنحة أشبه ما تكون بزعانف السمك. وقد يجمع حيوان واحد كل هذه الصفات.

زواحف الأمازون العملاقة

شاهد مؤخرا سكان إحدى القرى الصغيرة بغابات الأمازون بأمريكا الجنوبية حيوانا زاحفا عملاقا يصل طوله إلى أربعين مترا وعرضه خمسة أمتار. وهو مخلوق يشبه الأفعى الضخمة يقتلع الأشجار أثناء سيره. هذا

المخلوق حيوان برمائى يسبح فى الأنهار. ويقول سكان القرية إن ظهور ذلك الحيوان العجيب يدعم خرافة هندية تقول إن هناك مخلوقا غريبا يختبئ بمنطقة نهر الأمازون. معنى هذا أن الزواحف الضخمة (التنين) مازالت موجودة لليوم وإن كان وجودها قليلا ونادرا وهى موجودة بالمناطق النائية البعيدة مثل غابات الأمازون بأمريكا الجنوبية.

الخلاصة

انتهت هذه الدراسة إلى أن التنين حيوان حقيقى وليس أسطورى بادت معظم أنواعه معاصرة لوجود الإنسان، وإن كانت بعض أنواعه النادرة صغيرة كانت أو كبيرة مازالت موجودة للآن. اختلفت المراجع اختلافا بينا فى وصف حيوان التنين: فهو تارة حيوان برى من نوع الثعابين أو الحيات الضخمة وتارة أخرى زاحف من نوع السحالى أو العظاه. كذلك منه أنواع طائرة وهى قد تطير بأجنحة ريشية أو أجنحة غشائية. وهو كذلك من وحوش البحر التى تشبه الأنواع البرية وقد يكون وحشا بحريا طائرا بأجنحة تشبه الزعانف، وقد يجمع حيوان واحد كل هذه الصفات.

تعتبر الطيور نوعا من الزواحف الطائرة وكل خيوط الدلائل تربطهم عن قرب بأسلاف من الزواحف. وقد يمثل التنين الطائر حلقة مهمة فى تطور الزواحف إلى طيور، وبالتالى فإنه يمثل حلقة مهمة فى أصل الطيور عامة. وبناء عليه فإن التنين الطائر من الناحية العلمية ممكن الوجود. وقد عاصر هذا الحيوان العجيب وجود الإنسان حتى العصور الوسطى (القرن ٨ – ١٥ م) بدليل وصفه باستفاضة بالمراجع العربية التراثية المختلفة وإن كان أصبح حاليا من الحيوانات البائدة أو النادرة. وهذا يعنى أن الزواحف الطائرة لم تنقرض دفعة واحدة من ملايين السنين وإنما ظلت بعض أنواعها حية حتى عهد قريب. ويبدو أن فترة العصور الوسطى كانت حاسمة فى اختفاء بعض صور الحياة القديمة.

شكل (٤-١) : صورة تخيلية لوحش التنين المفترس فى أحد أشكاله وله أربـــع قوائم قصيرة بمخالب ورأس كبير وذنب طويـــل يشـــبهان رأس وذنب الأفعى كما أن له أجنحة غشائية .

شكل (٤-٢) : أجداد الزواحف من أنواع السحالى والحرباء لاحظ أن بعضها يمشى على الرجلين الخلفيتين أثناء الجرى السريع مثل الطيور هذه الحيوانات هى السوالف لمجموعات حيوانية مهمة تشمل الديناصورات والتيور. والتنين فى صورة من صوره يمثل أحد الأنواع الضخمة لهذه الزواحف

المرجع : تاريخ الحياة تأليف: أ. لى مكالستر. الناشر: شركة برينتس هول بأمريكا (١٩٦٨).

الفصل الخامس

الديناصورات الطائرة

مخلوقات ضخمة طائرة عاصرت الوجود التاريخى للإنسان

الزواحف الطائرة مجموعة من الحيوانات العجيبة البائدة التى تنتمى للعصر الجورى، أحد العصور الجيولوجية بحقب الحياة الوسطى، والذى ابتدأ من حوالى ١٨٠ مليون سنة. تتميز هذه المجموعة من الحيوانات الغريبة بجمجمة تشبه جمجمة الطيور بفكين طويلين وأجنحة غشائية يدعمها الإصبع الرابع. وأبرز أمثلة هذه المجموعة الطائر المسمى بتيروداكتيل واسمه أصلا مشتق من كلمتين يونانيتين هما: بتيروس وتعنى جناح وداكتيلوس وتعنى إصبع أى أن اسم الطائر معربا: ذو الجناح الإصبعى إشارة إلى أن جناحه الجلدى يدعمه إصبع طويل (معجم الكلية القياسى، ١٩٦٣). هذه الزواحف الطائرة عادة ما يكون لها ذنب طويل وحجم عملاق.

هذا وقد ظهرت الطيور ذات الريش وبعضها كبير الحجم خلال العصر الجورى المتأخر (ويليام ستوكس، ١٩٦٥). أى أن العصر الجورى المتأخر شهد بأجواء الأرض وجود الديناصورات الطائرة بجانب الطيور كبيرة الحجم ذات الريش. ومن المعروف علميا أن هذه الأنواع من الطيور قد بادت مع نهاية العصر الكريتاوى أى منذ ٧٠ مليون سنة (ويليام ماتيوس، ١٩٦٧).

طيور بحرية كبيرة وغريبة

غير أن الروايات المتواترة عن هذه الطيور الغريبة تؤكد أنها عاشت حتى عاصرت الأزمنة التاريخية لوجود الإنسان على الأرض. وقد وردت قصة

عن وجود هذه الأنواع الغريبة من الطيور الضخمة بكتاب «آثار البلاد وأخبار العباد» لمؤلفه الإمام زكريا بن محمد بن محمود القزوينى (٦٠٠ – ٦٨٢ هـ/ ١٢٠٤ – ١٢٨٣ م). يقول العلامة القزوينى بكتابه المشار إليه (١٩٩٢)، صفحة ٥٧، ما نصه:

> وحكى ابن الأثير فى تاريخه: أنه فى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة (٣٧٥ هـ/ ٩٨٥ م) خرج بعُمان طائر من البحر أكبر من فيل، ووقف على تل هناك وصاح بصوت عال ولسان فصيح: قد قرب، قد قرب، قد قرب، ثم غاص فى البحر، فعل ذلك ثلاثة أيام ثم غاب ولم ير بعد ذلك.

يشير النص القزوينى السابق إلى طائر بحرى يتردد على الأرض بين الحين والآخر. هذا الطائر عملاق الحجم بدليل وصفه بأنه «أكبر من فيل». وغوص الطائر بالبحر قد يكون سببه البحث عن فرائسه من الأسماك والقشريات والحيوانات البحرية الأخرى التى يتغذى عليها. ويبدو أن الطائر حينما يحط على الأرض يصيح بصوت مسموع فسّره السامعون القدامى على أنه كلام ذو معنى مفهوم، والحقيقة الثابتة أن الطيور تصيح فقط ولا تتكلم. وهذا الطائر العملاق ليس له – لدى علمى – مثيل اليوم، ومعنى هذا أنه كان موجودا ضمن مملكة الطيور منذ ما يزيد على الألف سنة ثم انقرض.

سجل العلماء (ويليام ستوكس، ١٩٦٥، صفحة ٢٧٩) وجود بقايا طائر غريب من الطبقات الطباشيرية بولاية كنساس بأمريكا وأطلقوا عليه اسم هسبيرو أورنيس أو الطائر الغربى وكان طائرا يدون أجنحة ويعوم ويغطس فى الماء وله أسنان توجد فقط بالجزء الخلفى من فكيه. ويبلغ طول الهيكل العظمى لهذا الطائر العجيب حوالى متر ونصف المتر، (شكل٥–١)، وقد يكون الطائر الذى تحدث عنه القزوينى فى كتابه

المذكور نوع كبير الحجم من هذه الطيور التى اكتشفت هياكلها مؤخرا بأمريكا، وقد يشبه منقارها الطويل خرطوم الفيل.

طيور أخرى عظيمة الحجم

فى موضع آخر من كتاب آثار البلاد وأخبار العباد للإمام القزوينى، صفحة ١٢٩، أشار المؤلف إلى وجود طيور عجيبة ذات هياكل عظيمة ببلاد الهند فنراه يقول:

> وبها (أى بلاد الهند) طير عظيم الجثة جدا، قالوا: إنه فى بعض جزائرها إذا مات نصف منقاره يتخذ مركبا يركب الناس فيه فى البحر، وعظم ريشه يتخذ آزون الطعام ويسع الواحد منه أحمالا كثيرة.

يتحدث النص أعلاه عن طائر عملاق الحجم فهو «عظيم الجثة جدا» كما وصفه القزوينى ويوجد فى بعض الجزائر الملحقة ببلاد الهند. هذا الطائر من الضخامة بحيث أن نصف منقاره أى الفك الأسفل من رأسه يتخذ مركبا لركوب الناس فيه بالبحر. ونصف المنقار السفلى يكون عادة من قطعة مجوفة واحدة من العظم المتين خالية من الثقوب ولذلك يتخذه أهل تلك البلاد مركبا صغيرا يركب فيه على الأقل ثلاثة أو أربعة أفراد دفعة واحدة «يركب الناس فيه فى البحر». فإذا افترضنا من هذا المنطلق أن طول نصف المنقار هذا لا يقل عن أربعة أمتار فإن الطائر كله يجب أن يكون طوله حوالى ١٦ متراً أو أكثر، لأن النسبة بين طول المنقار إلى طول الطائر بهذه المخلوقات البائدة تكون فى حدود النسبة ١ : ٤، ومن هنا وصفوه بأنه «عظيم الجثة جدا». وخلال العصر الكريتاوى أو الطباشيرى فإن بعض الزواحف الطائرة وصل طول الجناح المفرود فيها عن اليمين أو اليسار لغاية حوالى ثمانية أمتار، ولكن أجسامها مع ذلك ظلت صغيرة

وخفيفة (ويليام ماتيوس، ١٩٦٧). وبناء عليه لنا أن نتصور أن الطائر العملاق الذى ذكره النص يكون طوله أثناء التحليق بالجو وفرد الجناحين حوالى ١٨ مترا، وما من شك أن هذا طول مفرط وحجم عظيم بالنسبة لهذا النوع من الطيور التى لم يعد لها وجود فى الوقت الحاضر.

مما يساعد على تصور ضخامة حجم هذا النوع من الحيوانات أن عظم ريشه وهو الجزء العلوى من الريشة الخالى من الزغب يتخذ آزون (وعاء كبير) للطعام حتى أن الواحد منه يسع أحمالا كثيرة. أى أن الريشة الواحدة لهذا الطائر يصنع من جزئها العلوى وعاء متسع من الممكن أن يحفظ كمية كبيرة من الطعام. فإذا افترضنا أن قطر الجزء العلوى لعظمة الريشة لا يقل عن نصف المتر فيكون فى الجناح الواحد على فرض أن طوله ٨ أمتار حوالى ١٦ ريشة ضخمة وفى الجناحين معا حوالى ٣٢ ريشة ضخمة كافية لحمل جسم الطائر أثناء تحليقه بالجو، هذا بخلاف كمية أخرى من الريش الأصغر حجما.

إن وجود هذا الطائر العملاق ببعض جزائر الهند وجود حقيقى لا مجال للخيال فيه حيث أنه عندما يموت الطائر يستفاد من أجزائه المختلفة: فنصف منقاره الأسفل يستخدم مركبا صغيرا، وعظام ريشه تستخدم أوعية كبيرة لحمل الطعام، فهل يكون هذا الطائر امتدادا للطيور العملاقة التى عاشت فى حقب الحياة الوسطى؟ إذا صح ذلك فمعناه أن هذه الطيور لم تنقرض مرة واحدة مع نهاية العصر الطباشيرى وإنما ظل بعض أنواعها حيا معاصرا للفترة التاريخية لوجود الإنسان على الأرض.

الخلاصة

هذه الدراسة تؤكد بما لا يدع مجالا للشك سابق وجود أنواع غريبة وضخمة من الطيور معاصرة للوجود التاريخى للإنسان على الأرض. هذه الأنواع من الطيور لم يعد لها وجود فى الوقت الحاضر ومعنى هذا أنها

انقرضت منذ فترة وجيزة من الزمن الجيولوجى. هذا بخلاف ما هو معروف علميا عن انقراض هذه الطيور الضخمة مع نهاية العصر الطباشيرى منذ ٧٠ مليون سنة. وبعبارة أخرى فإن الزواحف الطائرة والطيور العملاقة ذات الريش لم تختف من على سطح الأرض من حوالى ٧٠ مليون سنة وإنما ظل بعض أنواعها باقيا حتى الزمن الحديث.

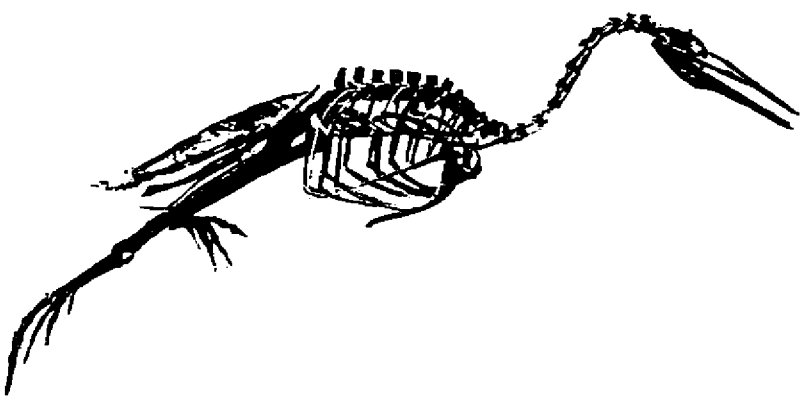

شكل (٥-١) : الهيكل العظمى لما يسمى بالطائر الغربى أو هسبيرو أو رنيس، من الطبقات الطباشيرية التى تنتمى للعصر الكريتاوى الأعلى بولاية كنساس بأمريكا. لاحظ أن طول الهيكل العظمى حوالى ١,٥٠ متر وأن الأسنان موجودة فقط بالجزء الخلفى للمنقار مع غياب الأجنحة عن كتاب أساسيات تاريخ الأرض، ويليام لى ستوكس (١٩٦٥).

الفصل السادس

الـرخ
طـــائـر عمـلاق بائـــد

ظهر على سطح الأرض وخلال أحقاب الزمن الجيولوجى المختلفة أنـواع غريبة وعجيبة من المخلوقات مثل الزواحف الضخمة والديناصورات البريـة والطيور العملاقة. ويظن العلماء أن معظم هذه الكائنات الضخمـة قـد بـادت لعدم ملاءمتها للبيئة ولظروف المعيشة. ونخص بالذكر فى هذه الدراسة أحد الطيور الضخمة العملاقة وهو طـائر الـرخ الـذى لم يعـد لـه وجـود بـالوقت الحاضر. ورغما عن الحجم الحقيقـى الضخـم لهـذا الطـائر العجيـب إلا أن القدماء بالغوا فى وصفه حتى أضفـوا عليـه كثـيرا مـن الصفـات الخرافيـة. وحيث أن هذه الطيور العملاقة لم يعد لها وجود الآن إلا أنها ذكـرت عـدة مرات فى كتب الأقدمين وشـاهدها بعـض النـاس. ومـن بـين الكتـب التـى ذكرت طائر الرخ كتـاب (حيـاة الحيـوان – الجـزء الرابـع ١٩٩١) لمؤلفـه كمال الدين محمد بن موسى الدميرى المتوفى سنة ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م. يقـول الدميرى (صفحـة ٦٤٦) فـى وصـف طـائر الـرخ مـا نـورده فـى الفقـرات التالية.

الرخ فى كتاب حياة الحيوان

الرخ، بالخاء المعجمة فى آخره، طـائر فـى جزائـر بحـر الصـين يكـون جناحه الواحد عشرة آلاف باع[١] .. ذكره الجاحظ وأبو حـامد الأندلسـى. قال: وقد كان وصل إلى أرض المغرب رجل من التجار ممن سافر إلى الصـين وأقام بها مدة، وكان عنده أصل ريشة من جناحه كانت تسع قربة ماء[٢].

وكان يقول أنه سافر مرة فى بحر الصين فألقتهم الريح إلى جزيرة عظيمة. فخرج إليها أهل السفينة ليأخذوا الماء والحطب. فرأوا قبة عظيمة أعلى من مائة ذراع[٣] ولها لمعان وبريق، فعجبوا منها. فلما دنوا منها إذا هى بيضة الرخ فجعلوا يضربونها بالخشب والفؤوس والحجارة حتى انشقت عن فرخ كأنه جبل، فتعلقوا بريشة من جناحه. فجروه فنفض جناحه، فبقيت هذه الريشة معهم، خرج أصلها من جناحه ولم يكمل بعد خلقه. فقتلوه وحملوا ما قدروا عليه من لحمه.

وقد كان بعضهم طبخ بالجزيرة قدرا من لحمه وحرّكها بعود حطب ثم أكلوه. وكان فيهم مشايخ، فلما أصبحوا إذا هم قد أسودت لحاهم، ولم يشب بعد ذلك من أكل من ذلك الطعام. وكانوا يقولون إن ذلك العود الذى حرّكوا به القدر من عود شجرة النشاب.

قال: فلما طلعت الشمس، إذا بالرخ قد أقبل فى الهواء كأنه سحابة عظيمة[٤] فى رجله حجر كالبيت العظيم أكبر من السفينة[٥] . فلما حاذى السفينة ألقى ذلك الحجر بسرعة، فوقع الحجر فى البحر وسبقت السفينة ونجاهم الله تبارك وتعالى بفضله ورحمته.

فى النص السابق خمسة جمل تستحق الشرح والإيضاح حتى يستقيم المعنى، ونورد هذه التفسيرات فى النقاط الخمس التالية.

(١) يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع: هذا كلام مبالغ فيه. وإذا رجعنا إلى (المعجم الوسيط – الجزء الأول ١٩٧٢) نجد أن الباع: مسافة ما بين الكفين إذا انبسطت الذراعان يمينا وشمالا. ويقدر الباع على هذا الأساس بحوالى مترين، أى أن الباع = ٢ متر تقريبا. وبالتالى فإن ما ذكر من أن الجناح الواحد طوله عشرة آلاف باع = ٢٠,٠٠٠ متر أى

٢٠ كيلومتر، وهذا وحده يظهر مدى المبالغة في ذكر طول الجناح وذكر ضخامة الطائر.

(٢) وكان عنده أصل ريشة من جناحه كانت تسع قربة ماء: لا ندرى المقصود بالضبط من حجم قربة الماء التى ذكرها المؤلف وهل هى قربة ماء صغيرة أم كبيرة؟ وإنما نستبعد حجم قربة الماء الحديثة المصنوعة غالبا من مادة البلاستك والتى يستعملها الأفراد حاليا وتسع بين لتر إلى التر ونصف من الماء.

(٣) فرأوا قبة عظيمة (بيضة الرخ) أعلى من مائة ذراع: طول الذراع السوداء=٤٩,٣ سنتيمتر (العرب وعلوم الأرض، ١٩٨٨). فيكون قطر البيضة = ٤٩,٣ متر أى حوالى خمسون مترا وهو أمر مستبعد مبالغ فيه.

(٤) إذا بالرخ قد أقبل فى الهواء كأنه سحابة عظيمة: هذه العبارة تدل على عظم حجم الطائر دون تحديد دقيق لحجمه.

(٥) فى رجله حجر كالبيت العظيم أكبر من السفينة: لا يستطيع طائر الرخ بداهة حمل هذا الحجر العظيم الثقيل، وإنما الأمر مبالغ فيه كثيرا، وهو ما يضفى على الطائر أحيانا صفات خرافية رغما عن حجمه العملاق الحقيقى.

هذه القصة عن طائر الرخ وهو طائر عملاق بائد لم يعد له وجود فى الوقت الحاضر، جاءت القصة فى سياق كتاب حياة الحيوان للدميرى. هذا الطائر كان يعيش فى جزائر بحر الصين والهند. وهو طائر عظيم الحجم حقيقة «إذا بالرخ قد أقبل فى الهواء كأنه سحابة عظيمة». ومع هذا فقد بالغ الأقدمون كثيرا فى وصفه، ومن هذه المبالغات ما ذكره النص السابق من أن طول جناحه الواحد عشرة آلاف باع أى عشرين كيلومترا. وكذلك ما ذكر من أن بيضته يصل قطرها إلى حوالى خمسين مترا. أما أصل ريشة

الطائر فقد ذكر أنه يسع قربة ماء، وهى دلالة حقيقية على عظم حجم الريشة وبالتالى عظم حجم الجناح ثم عظم حجم الطائر. وأصل الريشة له وجود حقيقى وكانت بحوزة أحد التجار الرحالة من المغرب وأجريت عليها تجارب كثيرة ووجد أنها تسع قربة ماء كاملة.

إذاً نحن أمام طائر عملاق حقيقى كان موجودا بجزائر بحار الصين والهند فى العصور الوسطى ولم يعد له وجود الآن. وقد بالغ الأقدمون كثيرا فى وصف حجم هذا الطائر وقدرته كما بالغوا فى وصف بيضه وأفراخه «حتى انشقت (البيضة) عن فرخ كأنه جبل». ويعزى إلى لحمه أنه يزيل الشيب ويرجع الشباب. هذا الطائر يدخل ضمن مجموعة الحيوانات الغريبة الضخمة التى عاشت على وجه الأرض فترة من الوقت إلى أن زامنت بوجودها وجود الإنسان حتى العصور الوسطى ثم تعرضت للانقراض.

الرخ فى كتاب رحلة ابن بطوطه

ذكر الرحالة ابن بطوطة فى كتابه المسمى: «رحلة ابن بطوطة (١٩٩٢)» طائر الرخ، وننقل نص حديثه فى الفقرة التالية، صفحة ٦٤٦ و ٦٤٧، وإليك ما قاله هذا الرحالة الكبير:

> ولما كان فى اليوم الثالث والأربعين ظهر لنا بعد طلوع الفجر جبل فى البحر بيننا وبينه نحو عشرين ميلا، والريح تحملنا إلى صوبه، فعجب البحرية وقالوا: لسنا بقرب من البر ولا يعهد فى البحر جبل وإن اضطرتنا الريح إليه هلكنا، فلجأ الناس إلى التضرع والإخلاص وجدّدوا التوبة وابتهلنا إلى الله بالدعاء وتوسلنا بنبيه صلى الله عليه وسلم، ونذر التجار الصدقات الكثيرة وكتبتها لهم فى زمام بخطى، وسكنت الريح بعض سكون. ثم رأينا ذلك الجبل عند طلوع الشمس قد ارتفع فى الهواء وظهر الضوء فيما بينه وبين البحر فعجبنا من ذلك،

ورأيت البحرية يبكون ويودع بعضهم بعضا فقلت: ما شأنكم؟ فقالوا: إن الذى تخيلناه جبلا هو الرخ وإن رآنا أهلكنا، وبيننا وبينه إذ ذاك أقل من عشرة أميال. ثم إن الله تعالى منّ علينا بريح طيبة صرفتنا عن صوبه، فلم نره ولا عرفنا حقيقة صورته.

هذه القصة المثيرة التى أوردناها فى النص السابق عن ابن بطوطة تبين طبيعة هذا الطائر الضخم حيث رآه البحارة وجمع من الناس والمؤلف الرحّالة رؤية العين. فهو يسكن البحار الجنوبية الشرقية أى بلغة العصر الحديث يسكن المحيط الهندى وبحر الصين وأجزاء من المحيط الجنوبى وهى مناطق تكاد تكون مهجورة فى تلك الأزمان. هذا الطائر ضخم عملاق بدليل قول الرحالة «ثم رأينا ذلك الجبل عند طلوع الشمس قد ارتفع فى الهواء» وبدليل قوله «إن الذى تخيلناه جبلا هو الرخ وأن رآنا أهلكنا»، فقد رأوه جبلا رغما عن أن المسافة الفاصلة بينهما حوالى عشرة أميال أى حوالى عشرين كيلومترا. وهو طائر قوى مفترس ينقض على الناس فيهلكهم. يؤخذ فى الاعتبار أن الميل العربى يكافئ حوالى كيلو مترين من وحدات الأطوال الحديثة (جيولوجية القمر، ١٩٨٠).

أما بالنسبة للون الطائر فإن النص المقتبس أعلاه لابن بطوطة يقول «ثم رأينا ذلك الجبل عند طلوع الشمس قد ارتفع فى الهواء فظهر الضوء فيما بينه وبين البحر». معنى هذا أن الطائر الضخم كان يحجب ضوء الشمس لأن لونه داكن وغالبا أسود اللون فلما ارتفع فى الهواء أى ابتدأ الطيران ظهر الضوء.

صفات طائر الرخ

نحاول من النصوص السابقة المقتبسة من كتاب حياة الحيوان للدميرى ومن المعجم الوسيط ومن كتاب رحلة ابن بطوطة تلخيص أهم صفات طائر

الرخ كما وردت بهذه المراجع الثلاث. ويؤخذ فى الاعتبار أن هذه الصفات قد تكون ناقصة ولكنها تمثل أهم ما ورد بهذه المراجع.

هذا الطائر «الرخ» عملاق بلا شك وإن بالغ الأقدمون كثيرا فى وصفه وضخامته. وهو طائر بائد لم يعد له وجود فى الوقت الحاضر. وهو يعيش بجزائر وبحار الهند والصين، ضخم الجناحين كبير الريش حتى أن أصل ريشة واحدة منه كان يسع قربة ماء، لونه داكن وغالبا أسود اللون. وبيضه كبير وأفراخه كبار كذلك، وهو طائر قوى مفترس منتقم ولحمه يعيد الشباب للإنسان.

ومن المنطقى أن يكون موقع تواجد هذا الطائر الضخم بجزائر وبحار الهند والصين أى بربع الكرة الأرضية الجنوبى الشرقى حيث كانت هذه المناطق النائية مهجورة أو شبه مهجورة من العمران وبالتالى كانت مجالا ملائما لحركة وطيران هذا الطائر العملاق. فهو يحتاج إلى أرض متسعة خالية أثناء قفزه على الأرض ويحتاج كذلك إلى سماء مكشوفة تماما أثناء طيرانه بالجو، وهذه الظروف يمكن أن تتوافر بالجزائر والبحار الجنوبية الدافئة.

التعريف بالطيور وتطورها

أطلق على الطيور أحيانا لفظ الزواحف المجدة أو الزواحف العالية والمقصود أنها الزواحف الطائرة، وكل خيوط الدلائل تربطهم عن قرب بأسلاف من الزواحف. يمكن تمييز الطيور بصفة عامة بأنها: من ذوى الدم الحار، تضع البيض، ولها ريش ورجلان. يوجد أكثر من ٧٠٠٠ نوع حى من الطيور أمكن تحديدهم، (شكل٦-١)؛ ولكن الأنواع المتحفرة نادرة بسبب أن هياكلها العظمية رقيقة وصغيرة الحجم (أساسيات تاريخ الأرض، و. لى ستوكس، ١٩٦٥).

فى تعريفه لطائر البطروس البحرى، ذكر «معجم الكلية القياسى» (١٩٦٣) أنه واحد من الطيور البحرية متعددة الأشكال كبيرة الحجم

ذو أرجل غشائية له أجنحة طويلة ضيقة ومنقاره معقوف. يبلغ طول الطائر ساكنا على الأرض حوالى ٤٠ بوصة أو١٠٠ سنتيمتر أى يصل طوله إلى متر واحد، أما فرد الجناح الواحد فإنه يصل إلى ١٢ قدم أى (١٢ X ٣٠)/١٠٠ = ٣,٦٠ مترا فيكون طول الطائر أثناء التحليق بالجو حوالى ثمانية أمتار. يؤخذ فى الاعتبار أن البطروس طائر محيطى أى يعيش بالمحيطات وجزائرها وقد يكون من هذا المنطلق منحدرا من أسلاف من طائر الرخ العملاق الذى كان يعيش بالبحار والمحيطات الجنوبية الشرقية، (شكل ٦-٢).

الخلاصة

اعتمدت هذه الدراسة على ثلاثة مراجع أساسية ورد فيها ذكر طائر الرخ وهى كتاب حياة الحيوان للدميرى، والمعجم الوسيط، وكتاب رحلة ابن بطوطة. توصلت الدراسة إلى أن طائر الرخ طائر عملاق كان له وجود حقيقى، وإن بالغ الأقدمون كثيرا فى وصفه. هذا الطائر كان يعيش بجزائر وبحار ومحيطات الهند والصين وهو ضخم الجناحين كبير الريش لونه داكن يميل إلى السواد، بيضه كبير وأفراخه كبار كذلك، وهو طائر قوى مفترس لحمه يعيد الشباب للإنسان.

أما البيئة التى كان يعيش فيها هذا الطائر فقد كان يعيش بمناطق نائية مهجورة فسيحة بربع الكرة الأرضية الجنوبى الشرقى حيث كانت هذه المناطق خالية من العمران ومن العوائق الطبيعية وبالتالى تشكل مجالا ملائما لحركة وطيران هذا الطائر العملاق. كذلك فإن هذه البحار كانت تمد الطائر بغذاء وافر من الأسماك والحيوانات البحرية الأخرى وتشارك الجزائر الكبيرة بهذه البحار بمدّه بأنواع أخرى من الغذاء الأرضى الكثير. تؤكد الدراسة الحالية ما سبق أن توصلت إليه دراسة سابقة (الديناصورات

الطائرة، ١٩٩٧) من أن الزواحف الطائرة والطيور العملاقة ذات الريش لم تختف مرة واحدة من على سطح الأرض من حوالى ٧٠ مليون سنة وإنما ظل بعض أنواعها باقيا حتى الزمن الحديث.

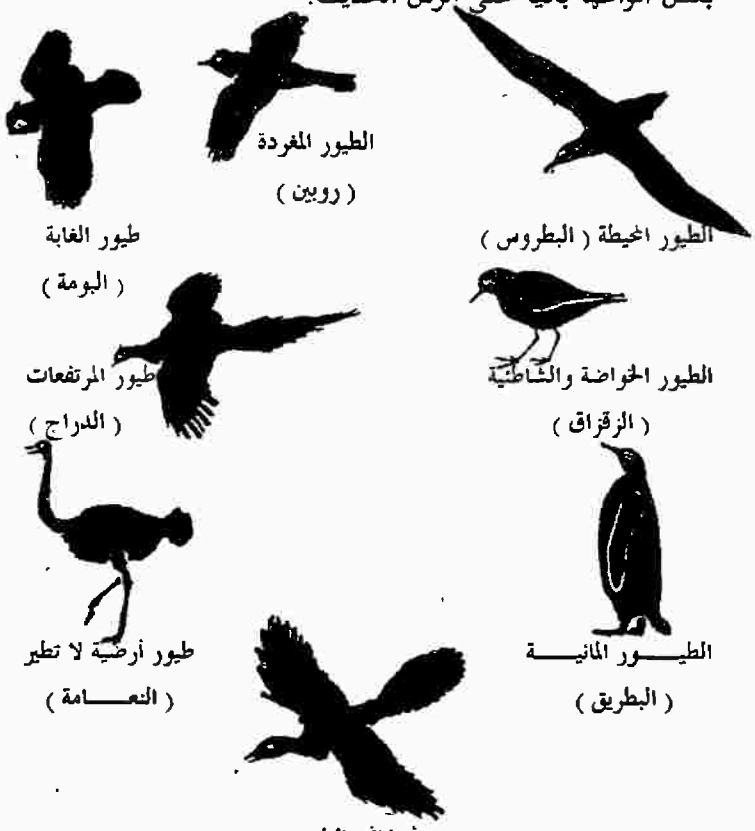

شكل (٦-١) : تلائم الطيور مع أساليب المعيشة المتعددة والبيئات المختلفة.

شكل (٦-٢) : صورة تخيلية لطائر الرخ العملاق أثناء انقضاضه على إحدى الفرائس ببعض الجزائر الكبيرة بالمحيطات الجنوبية الشرقية.

الفصل السابع

عجائب النبات والحيوان بجزيرة القمر

مقدمة

جزيرة مدغشقر وتسمى حاليا جمهورية مالاجاسى أو ملجاش، تقع بالجنوب الشرقى من القارة الأفريقية بالمحيط الهندى، ويفصلها عنها مضيق موزمبيق، وكانت تسمى بالكتب الجغرافية العربية القديمة جزيرة القُمر (بضم القاف) أو جزيرة ملاى. هذا ومن المعروف أن معلومات الجغرافيين العرب (عن أفريقيا) قد توغلت جنوبا لغاية خط عرض ٢٠° جنوبا، فشملت ساحل موزمبيق الذى أطلقوا عليه اسم (سفالة الزنج)، وقد انتشرت مراكز استيطانهم فى مدن متعددة من أمثال ممبسة وزنجبار وملندة وكلوا بل وحتى جزيرة مدغشقر التى أطلقوا عليها اسم جزيرة قمار أو قمر (الجغرافية عند العرب، شاكر خصباك ، ١٩٨٧).

الدمشقى وكتابه نخبة الدهر

مرجعنا فى الدراسة الحالية عن جزيرة القمر أو مدغشقر وما احتوته من عجائب النبات والحيوان والطير هو كتاب نخبة الدهر للدمشقى. ونقتطف ترجمة موجزة لحياة الدمشقى من كتاب تاريخ الأدب الجغرافى العربى لمؤلفه أ. يو. كراتشكو فسكى (١٩٦٣) حيث وردت الترجمة الكاملة لهذا العالم العربى بالكتاب المذكور على مدى ثلاث صفحات من القطع الكبير، صفحة ٣٨٦ – ٣٨٨.

والمؤلف اسمه بالكامل : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى طالب الأنصارى الصوفى الدمشقى الملقب بشيخ الربوة، ولد فى سنة ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦ م. أمضى الدمشقى معظم حياته بمسقط رأسه دمشق إماما بمسجد الربوة ولقب بالصوفى لميوله التصوفية. ويبدو أن هذه الميول هى

المسئولة عن اعتزاله العالم فى أواخر أيام حياته وإقامته بناحية من أعمال فلسطين حيث عاش عيشة الزهاد إلى وفاته فى عام ٧٢٧ هـ/ ١٣٢٧ م.

وعلى الرغم من جنوحه إلى التصوف إلا أنه خلّف وراءه عددا كبيرا من المؤلفات يكشف بعضها عن اهتمام ومعرفة جيدة بالعلوم الدنيوية، وأكثرها شهرة وأهمية هو كتابه فى الكوزموغرافيا: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، ويضم الكتاب تسعة أبواب. والكتاب ذو أهمية كبيرة من وجهة نظر التاريخ الطبيعى لأنه يحفل بمعطيات وافرة فى النبات والحيوان والمعادن وطبقات الأرض ويغلب على طابع الكتاب الميل إلى الروحيات ولكن ليست من ذلك الطراز البدائى البسيط.

ومما يزيد فى قيمة كوزموغرافيا الدمشقى والمصنفات المشابهة له وجود معلومات غير قليلة فيها نفتقدها لدى المؤلفين الآخرين، هذا إلى جانب الإشارة إلى مواضيع جغرافية معينة تصمت عنها المصادر الأخرى صمتا مطبقا. وتحتل المكانة الأولى مادته عن الشام وفلسطين التى عاش كل حياته فيها والتى يعتبر كتابه مصدراً أساسيا بالنسبة لجغرافيتها وتاريخها، وفى الواقع أن وصفه لهذه البلاد يعتبر من أكمل ما عرف فى هذا الصدد.

بالنسبة لنشر كتاب «نخبة الدهر» للدمشقى فقد قام أولا بطبعه المستشرق فراين أحد أعضاء الأكاديمية الإمبراطورية بمدينة بطرسبرج ثم اعتنى بعد وفاته بتصحيحه وطبعه المستشرق أغسطس بن يحيى المدعو مهْرن مدرس الألسنة الشرقية فى المدرسة العظمى الملكية بمدينة كوبنهاجن الدانمركية. والطبعة الأولى من الكتاب طبعت فى مدينة بطرسبرج فى مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية سنة ١٢٨١ هـ/ ١٨٦٥ م، أما الطبعة الثانية التى أشرف على نشرها أ. مهرن فطبعت بواسطة أوتوهارا سويتز بليبزج (١٩٢٣) وهى الطبعة التى بين أيدينا من الكتاب.

وصف جزيرة القمر للدمشقى

ذكر الإمام العالم شمس الدين أبو عبد الله الدمشقى فى كتابه المذكور نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر (١٩٢٣) جزيرة القمر أو مدغشقر ووصف عجائبها، (صفحة ١٦١ - ١٦٢)، فقال:

فأما جزيرة القمر فتسمى جزيرة ملاى وطولها أربعة أشهر وعرض الواسع منها نحو شهر وهى تحاذى جزيرة سرنديب من جنوبها فتكون سرنديب شمالا منها[١] وفيها بلاد كثيرة.. وبهذه الجزيرة من الخشب الغليظ الجافى الطويل ما تبلغ الشجرة مائتى ذراع[٢] وتبلغ سعة الساق دور مائة وعشرين ذراعا[٣].. ولهذه الجزيرة بجبال أولئك الزنوج معادن الذهب والياقوت وبها الأفيلة البيض والبلق[٤] وبأطرافها من جهة المحيط وحوش كالسباع لهم قرون[٥] لا يطاقون لشدة جرأتهم على سائر الحيوان، والسباع مستديرات الوجوه قريبات الشبه من وجوه بنى آدم ولهم آذان دقاق طوال وجلودهم مخطوطة قضبان شبيهة بنسج العتابى[٦] حمر وبيض لا يطاقون شرا. ويقال إن الطائر الذى يقال له الرخ بها يرى طائرا فى الجو الأعلى، ويجدون فى شرق الجزيرة من ريشة تسقط فيتخذونها أوعية للماء يكون سعة القصبة أكثر من شبر ونصف[٧] وطولها نحو القامة[٨] سوداء وسمك جوفها غليظ بغلظ إصبع[٩] ، ويصل هذا الريش إلى عدن عند التجار يسمونه ريش الرخ ويزعم من دخلها وأقام بها أنه يرى للرخ بيضة من بيضه شبيهة بالقبة[١٠].

بالنص السابق عدد من المفردات والتعبيرات تحتاج إلى شرح لضمان سلامة فهم النص. ونورد فى الفقرات التالية شرح هذه المفردات والتعبيرات وعددها عشرة.

(١) **وهى (أى جزيرة مدغشقر)** تحاذى جزيرة سرنديب (سيلان أو سريلانكا حاليا) من جنوبها فتكون سرنديب شمالا منها: فى الواقع فإن جزيرة مدغشقر لا تحاذى جزيرة سرنديب من جنوبها فإن بينهما أى يفصلهما عن بعض مسافة عدة خطوط عرض. أما قوله «فتكون سرنديب شمالا منها» فهو قريب من الصحيح لأن سرنديب تقع حقيقة شمال شرق مدغشقر (شكل ٧-١).

(٢) .. **ما تبلغ الشجرة مائتى ذراع** : الذراع=٦٦سنتيمتر (جيولوجية القمر، ١٩٨٠). فتكون طول الشجرة كما ورد بالنص=٢٠٠ × (٦٦/ ١٠٠) = ١٣٢ مترا وهو أمر مبالغ فيه كثيرا بالإضافة إلى أن طول الشجرة لم يتعرض لقياس حقيقى، وإن كان هذا التقدير يعبر بصفة عامة عن طول مفرط لتلك الأشجار.

(٣) **وتبلغ سعة الساق دور مائة وعشرين ذراعا**: فيكون محيط ساق الشجرة أو محيط الجذع = ١٢٠ × (٦٦/ ١٠٠) = ٧٩,٢ مترا، وهو أمر مبالغ فيه كذلك لأن هذه القياسات تقديرية.

(٤) **البلق** : البلق هو سواد وبياض فى اللون وبلق الفرس ونحوه بلقا وبلقة: كان فيه سواد وبياض، فهو أبلق وهى بلقاء، وجمع بلق (المعجم الوسيط – الجزء الأول، ١٩٧٢). أى أن الفيلة فيها أبيض اللون وفيها المخلط سواده وبياضه وهى أنواع نادرة من الفيلة.

(٥) **وحوش كالسباع لهم قرون** : قد تكون أنواع غريبة من الوحوش المنقرضة وقد تشير إلى نوع من حيوان وحيد القرن المعروف باسم الخرتيت.

(٦) **شبيه بنسج العنابى**: فى الأصل العتبة هى خشبة الباب التى يوطأ عليها. والعتب ما بين السبابة والوسطى أو ما بين الوسطى والبنصر (من انخفاض)، وقد تشير الكلمة إلى ما بين الجبلين من منخفض (المعجم الوسيط – الجزء الثانى، ١٩٧٣). وجمع عتبة عتب وقد تكون

كلمة العتابى الواردة بالنص جمع نـادر أو غريـب. يؤخـذ فـى الاعتبـار أن عتبة الدار تطورت فيما بعد من قطعـة الخشـب إلى نسيج خشـن مـن شـعر ليف النخل فيه بـارز وغـائر. أمـا السـباع ذات الجلـود المخطوطـة قضبـان شبيهة بنسج العتاب فقد تشير إلى نوع من النمور المخططـة بخطـوط داكنـة سوداء متبادلة مع أخرى بيضاء أو حمراء فاتحة اللون.

(٧) يكـون سعة القصبـة (مـن ريشـة طـائر الـرخ) أكـثر مـن شـبر ونصف: الشبر طوله ٢٢ سنتيمتر، فيكون الشـبر والنصـف= ٣٣سنتيمتر أى أن سعة قصبة الريشة حوالى٣٥سنتيمترا (أكثر من شبر ونصف) غالبا من الداخل.

(٨) وطولها (أى طول ريشة طائر الرخ) نحو القامـة سـوداء : أى أن طول الريشـة الكاملـة حـوالى ١,٧٥ مـتر. سـبق أن توصلنـا إلى لـون ريش طائر الرخ وقلنا إنه داكـن أسـود اللـون (الـرخ: طـائر عمـلاق بـائد ١٩٩٨).

(٩) وسمك (جوفها) غليـظ بغلـظ إصبـع: الأصح أن تكـون الجملـة هكذا: وسمك حوافها أى جدار قصبة ريشة طائر الرخ – غليظ بغلظ أصبع، ويبدو أن هناك تصحيف فى كلمة حوافها فكتبت خطأ على أنـها جوفـها. فإذا كان طول إصبع السـبابة المسـتخدم عـادة فـى القيـاس = ٧ سـنتمترات فيكون سمك الجدار من الناحيتين المتقابلتين=١٤سـنتيمترا ويكـون قطـر قصبـة الريشـة كلـه مـن خـارج جـدار القصبـة إلى خـارج الجـدار المقابل=٣٥+ ١٤ = ٤٩ سنتيمترا مقاربا لما توصلنا إليه من قبـل عـن قطـر قصبة ريشـة هذا الطائر العملاق وتساوى نصف المتر.

(١٠) .. أنه يـرى للـرخ بيضـة مَـن بيضـه شـبيهة بالقبـة : يريـد أن يقول إن بيضة الرخ كبيرة جدا. وفى دراسة سابقة عن طائر الرخ ذكر أن القطر الأكبر للبيضة = ٤٩,٣ مترا أى حوالى خمسون مترا وهو أمـر مسـتبعد مبالغ فيه.

النص المذكور أعلاه وهو مقتبس من كتاب نخبة الدهر للدمشقى ذكر أربعة عجائب أساسية بجزيرة مدغشقر أو القمر نوجزها فى السطور التالية. أولاً: تلك الأشجار السامقة الباسقة بالغة الطول والضخامة حتى أن محيط الجذع لإحداها كما ورد بالنص يصل إلى ما يزيد على ٧٩ مترا. ثانياً: الأفيال البيض والبلق وهى التى اختلط سوادها ببياضها، وكلها أنواع نادرة من الفيلة تكاد تكون غير موجودة حاليا وتحتاج إلى دراسة بيولوجية خاصة لاستبقاء أنواعها حفاظا على البيئة الحيوانية. ثالثاً: تلك الوحوش المفترسة كالسباع ذوى القرون: فهل هذه الوحوش أنواع بائدة مفترسة من الخرتيب؟ أم أنها أنواع غريبة منقرضة من الوحوش؟ رابعاً: حديثه عن طائر الرخ العملاق بجزيرة مدغشقر وريشه الطويل الذى يبلغ طول الواحدة منه ١,٧٥ متر وكذلك بيضه الكبير الضخم. أما السباع ذوى الوجوه المستديرة والجلود المخططة والألوان البيضاء والحمراء فهى غالبا أنواع من النمور المفترسة.

طائر الرخ العملاق

سبق أن أصدرنا دراسة علمية تاريخية عن طائر الرخ وقلنا إنه طائر عملاق بائد يعيش بالبحار والجزر الجنوبية الشرقية مثل بحار ومحيطات الهند والصين. وفى تلك الدراسة أوجزنا صفات الطائر العملاق على النحو التالى: فهو ضخم الجناحين كبير الريش لونه داكن يميل إلى السواد، بيضه كبير وأفراخه كبار كذلك، وهو طائر قوى مفترس لحمه يعيد الشباب للإنسان. وفى دراسة أخرى ذكرنا أن قطر قصبة الريشة لا يقل عن نصف متر وأن طول الجناح الواحد مفرودا ثمانية أمتار.

من المناسب أن نقارن ما توصلت إليه الدراسات السابقة عن وصف طائر الرخ، وهى دراسات معظمها على أساس نظرى، بما أوضحته الدراسة الحالية المبنية على أساس رؤية الطائر وريشه، رؤية العين بجزيرة مدغشقر

واستعمال هذا الريش قربة للماء أو وعاء لحفظ الطعام. هذا وقد أوضحت الدراسة الحالية أن قطر قصبة الريشة من خارج جدار القصبة إلى خارج الجدار المقابل = ٤٩ سنتيمترا أى حوالى نصف المتر. كذلك بينت الدراسة الحالية أن طول ريشة هذا الطائر = ١,٧٥ متر وأن لونها أسود وبيضه كبير ضخم. هكذا يتضح أن أوصاف الطائر التى استنتجت فى الدراسات السابقة ومعظمها على أساس نظرى تنطبق إلى مدى بعيد مع صفاته المبنية على المشاهدة الفعلية بجزيرة مدغشقر وتشمل قطر قصبة الريشة وطول الريشة ولونها وحجم بيضه.

مدن جزيرة مدغشقر

ذكر الدمشقى فى كتابه المشار إليه أعلاه «نخبة الدهر» مدن جزيرة القمر (مدغشقر) فقال: .. وفيها (أى فى جزيرة القمر) بلاد كثيرة أجلها لقمرانة وملاى ودهما وخافور وبلبق ودغلى وقمرية وإليها ينسب الطير القمرى وهو نوع من الحمام. وقد أمكننا فى هذه الدراسة مقابلة الأسماء القديمة لبعض مدن الجزيرة بمثيلاتها الحديثة مثل: مايونجا = ملاى، وهى ميناء شمال غرب الجزيرة، وتاماتاف = دهما وهى ميناء أيضا بشمال شرق الجزيرة (شكل ٧-٢) أى أن الأسماء القديمة غالبا تبسيط أو تحريف للأسماء الحديثة. ويستدل من هذا أن اسم جزيرة القمر يقابل حقيقة اسم جزيرة مدغشقر وأن بعض مدن هذه الجزيرة له تاريخ عريق موغل فى القدم. والظاهر أن هذين الميناءين وهما ما يونجا وتاماتاف كانا من الموانئ التاريخية لرسو السفن التجارية القديمة وغيرها من سفن المهاجرين والرحالة.

الخلاصة

المقصود بجزيرة القمر أنها جزيرة مدغشقر وحاليا جمهورية مالاجاسى إحدى جمهوريات أفريقيا مع ملاحظة أنه يوجد بالخرائط الحديثة إلى الشمال الغربى قليلا من هذه الجزيرة الكبيرة عدة جزر صغيرة تعرف باسم جزر كومورو أو كوموروس. ذكر العالم الكوزموجرافى الدمشقى كاتب القرن الثامن الهجرى أو الرابع عشر الميلادى أربعة عجائب هامة توجد بجزيرة القمر (مدغشقر) وذلك فى كتابه المعنون (نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ١٩٢٣). **أولاً**: الأشجار السامقة بالغة الطول والضخامة حتى أن محيط الجذع لأحدها يصل إلى ما يزيد على ٧٩ مترا. **ثانياً**: الأفيال البيض والأخرى التى اختلط سوادها ببياضها وهى أنواع نادرة من الأفيال تتعرض حاليا للانقراض. **ثالثاً**: الوحوش المفترسة كالسباع ذوى القرون وقد تمثل أنواعا غريبة من حيوانات منقرضة. **رابعاً**: تسجيل وجود طائر الرخ بأرض جزيرة مدغشقر وهو طائر عملاق بائد، وقياس طول ريشة من جناحه ويبلغ طول الريشة الواحدة ١,٧٥ متر بطول قامة الإنسان المعتاد وطول قطر قصبتها ٤٩ سنتيمترا أى حوالى نصف المتر وأن سمك جدار القصبة حوالى ٧ سنتيمترات ولونها أسود وبيضه كبير ضخم.

وعند مقارنة ما توصلت إليه الدراسات السابقة فى وصف طائر الرخ ومعظمها على أساس نظرى والتى قام بها كاتب هذه السطور بما أوضحته الدراسة الحالية المبنية على رؤية الطائر وريشه وإجراء القياسات الواقعية على ريشة يتضح تطابق الاتجاهين وبالأخص فى مجالات قطر قصبة الريشة وطول الريشة ولونها وحجم البيض، الأمر الذى يؤكد صحة الاستنتاجات النظرية السابقة وبعد مداها وصدق معطياتها.

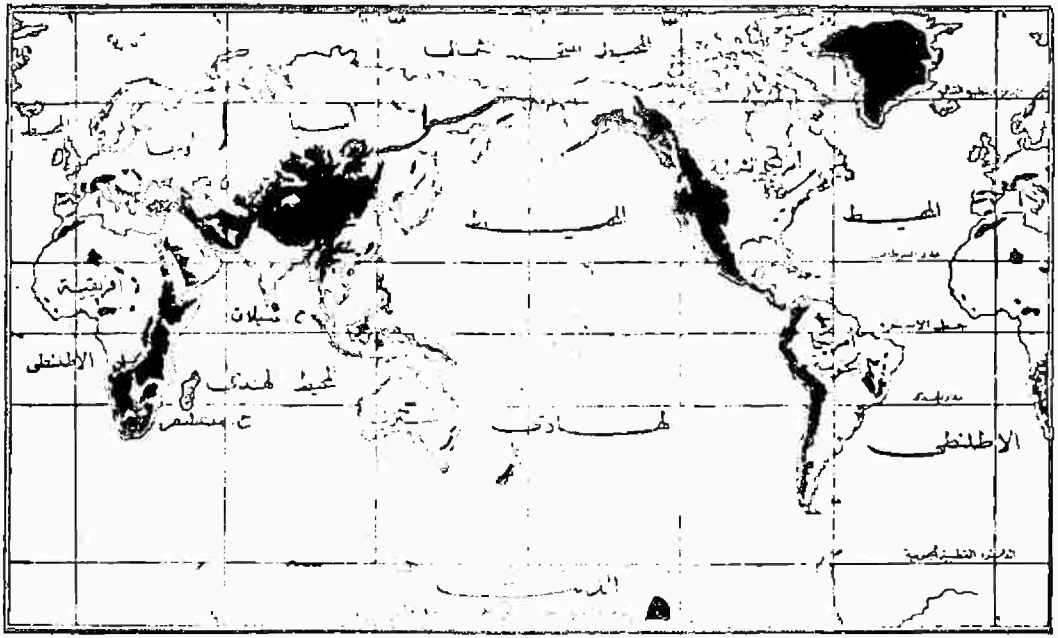

شكل (٧ ١) خريطة جغرافية للعالم تبين موقع جزيرة النصر و مدغشقر وجاليه جمهورية ملاجاسي و مدغشقر) وجزيرة سوناليب أو سيلان وجاليا جمهورية سريلانكا.

المرجع : لأطلس الجديد، عمل محمد حمدان وليبه الفسال (١٩٤٦)

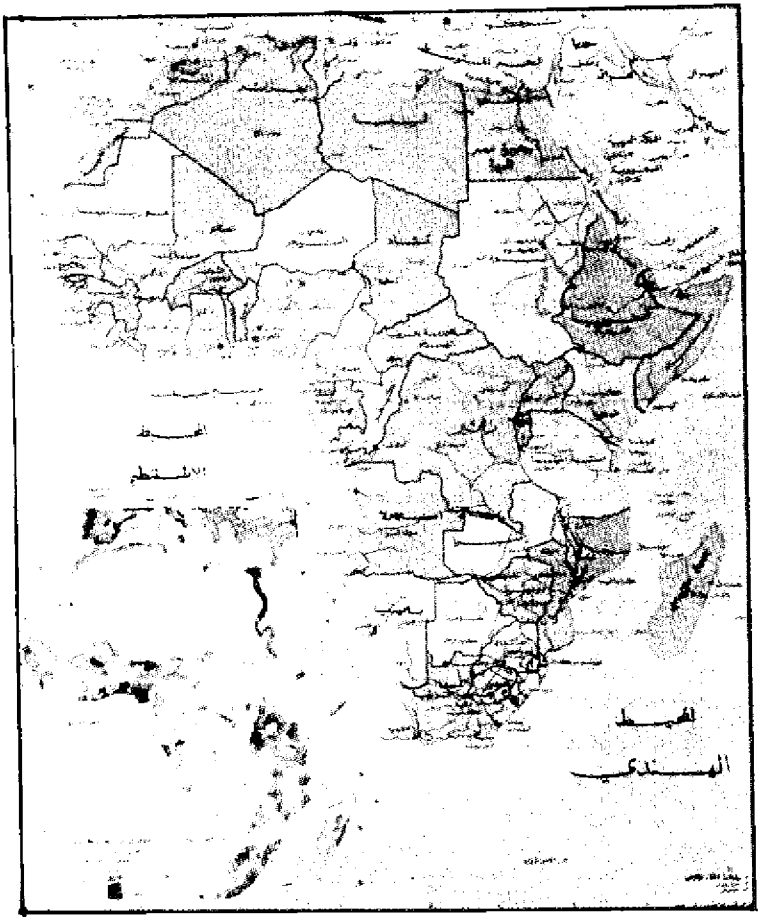

شكل (٧-٢): جزيرة القمر (مدغشقر) وتقع إلى الجنوب الشرقى من قارة أفريقيا بالمحيط الهندى وبها العجائب الأربع: الأشجار الطويلة السامقة، الأفيال البيض والبلق، الوحوش المفترسة ذوات القرون، وطائر الرخ العملاق. وذلك وفقا لما ذكره الكاتب الكوزموجرافى شمس الدين الدمشقى فى كتابه المسمى نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر (١٩٢٣).

المرجع: أطلس جمهورية مصر العربية والعالم، إشراف: محمد محمود الصياد، سنة (١٩٨٢)

الجزء الثانى

الإنسان العملاق

الفصل الثامن

لغز الإنسان العملاق بأوروبا

نسمع كثيرا عن إنسان عملاق أو مجموعة من النـاس عمـاليق أو عمالقـة فما هو وصف الإنسان العملاق؟ يتميز هذا الإنسان عـن بنـى جنسه بطـول مفرط وجسامة فى الجسم ووزن ثقيل وقوة وبأس شـديدين. وقـد جـاء ذكـر العماليق فى كتب القصص الدينى وكتب التاريخ فها هى عاد قوم هود عليه السلام يتميز أهلها بأنهم من العماليق وهناك عماليق نزحوا من غـرب نـهر الفرات ثم هناك العماليق الذين كانوا يسكنون غرب آسيا ومنهم مـن دخـل مصر – مع غيره – غازيا ثم طردهم الملك أحمس زمن الأسرة الثامنـة عشـر. فى «معجم الكلية القياسى» (١٩٦٣) يعرّف العملاق على أنه: كـائن حـى فى هيئة إنسان ولكنه فوق الطبيعة فى الحجم والقوة. وفى المعجـم الوسـيط – الجزء الثانى (١٩٧٣) أن العماليق: قوم من ولد عمليق أو عملاق بن لاوذ ابن إرم بن سام بن نوح.

ويبدو أنه لما هلك كفار عاد وثمود فرّ بعـض مـن نجـا مـن المؤمنـين مـن العذاب إلى جهة الشمال، وكان هؤلاء يتمـيزون بضخامـة أجسـامهم. يقـول كتاب قصص الأنبياء لمؤلفه عبد الوهاب النجار (١٩٨٥) بهذا الصدد: وقـد قال بعض المفسرين أن صالحا والذين آمنوا معه ذهبوا بعد هلاك قومـهم إلى ناحية الرملة من فلسطين، وقال غيرهم خلاف ذلك. وأقرب الأقوال عنـدى إلى التصديـق أنـهم ذهبـوا إلى الرملـة ونواحـى فلسـطين لأنـها أقـرب بـلاد الخصب إليهم. والعربى إنما يطلب الكلأ لرعى ماشيته والأرض ذات الماء.

وأخذ بعض من نجا من العذاب من تلك الأقوام العماليق يمعن فى الفرار والسير شمالا حتى وصل إلى بعض البلاد الأوربية واستقر بها (شكل٨–١).

إلى هنا وتبدو الأمور طبيعية ولكن هل هناك سجل من التاريخ يثبت وجود هذا الصنف العملاق من بنى البشر؟ وما هى مقاييس الإنسان العملاق الواقعية؟ هذا ما وضحه لنا كتاب «آثار البلاد وأخبار العباد» من تصنيف الإمام العالم زكريا بن محمد بن محمود القزوينى الذى عاش فى الفترة بين سنة ٦٠٠ – ٦٨٢ هـ أو بين سنة ١٢٠٤ – ١٢٨٣ م، أى أنه ينتمى للقرن الثالث عشر الميلادى.

رواية القزوينى عن الإنسان العملاق

يقول الإمام زكريا بن محمد القزوينى فى كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد» الذى سبقت الإشارة إليه وتحت باب بلغار المعروفة حاليا باسم دولة بلغاريا بشرق أوروبا، صفحة ٦١٢ – ٦١٤ ما نصه :

> وحكى أبو حامد الأندلسى أنه رأى[١] بأرض بلغار شخصا من نسل العاديين الذين آمنوا بهود عليه السلام وهربوا إلى جانب الشمال، كان طوله أكثر من سبعة أذرع[٢]، كان الرجل الطويل إلى حقوه[٣]، وكان قويا يأخذ ساق الفرس فيكسرها، ولا يقدر غيره أن يكسرها بالفأس. وكان فى خدمة ملك بلغار، وهو قرّبه واتخذ له درعا على قدره وبيضة[٤] كأنها مرجل كبير[٥]، ويأخذه معه فى الحروب على عجلة لأن الجمل ما كان يحمله[٦]، ويمشى إلى الحرب على عجلة كيلا يتعب من المشى، ويقاتل راجلا بخشبة فى يده طويلة لا يقدر الرجل الواحد على حملها، وكانت فى يده كالعصا فى يد أحدنا، والأتراك يهابونه إذا رأوه مقبلا إليهم انهزموا، ومع ذلك كان لطيفا مصلحا عفيفا. وفى كتاب سير الملوك أن القوم الذين آمنوا بهود عليه السلام وهربوا إلى بلاد الشمال وأمعنوا فيها توجد بأرض بلغار عظامهم.

أبو حامد الأندلسى

حكى القزوينى نقلا عن أبى حامد الأندلسى رؤيته بالعين المجردة لشخص عملاق من نسل قبيلة عاد قوم هود، فمن هو أبو حامد الأندلسى هذا؟ ومتى عاش؟ وما هى أهم مؤلفاته؟ نورد فى السطور التالية مختصرا عن ترجمة حياته كما صورها كتاب (تاريخ الأدب الجغرافى العربى – القسم الأول، لمؤلفه المستشرق اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكى (١٩٦٣)، صفحة ٢٩٤ – ٢٩٧.

صاحب الترجمة هو أبو حامد أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم المازنى القيسى الغرناطى الأندلسى الإقليشى القيروانى. وهو جغرافى من أصل عربى مسلم غير أنه ولد بغرناطة ببلاد الأندلس. عاش حتى تسعين عاما فى الفترة ما بين سنة ٤٧٣ هـ/ ١٠٨٠ م إلى سنة ٥٦٥ هـ/ ١١٧٠ م. زار هنغاريا (المجر) من بلاد أوروبا الشرقية وكان موجودا بها فترة من الوقت. له كتاب «تحفة الألباب ونخبة الإعجاب» وينقسم الكتاب إلى أربعة أبواب يحتوى الباب الرابع منها على «صفات الحفائر والقبور وما تضمنت من العظام إلى يوم النشور»، وهذا الباب يختص بما نسميه حاليا علم الحياة القديمة الفقارية Vertebrate Palaeontology.

وهو أول مصنف إسلامى يتحدث فى هذا التخصص باستفاضة ويفرد له بابًا خاصًا بعنوان (صفات الحفائر العظمية).

بالنص المذكور أعلاه بعض المصطلحات والتعبيرات التى تحتاج إلى شرح وتوضيح حتى يمكن فهم النص بطريقة صحيحة وعددها ستة مصطلحات وتعبيرات بيانها كالآتى:

(١) وحكى أبو حامد الأندلسى أنه رأى بأرض بلغار شخصا:

الكلام يفيد أن أبا حامد شاهد الشخص العملاق ببلاد بلغاريا مشاهدة حية أى رآه رؤية العين وجها لوجه، ولم يسمع عنه أو يصفه نقلا عن غيره.

(٢) **كان طوله أكثر من سبعة أذرع:** طول الذارع = ٦٦ سنتيمترا (جيولوجية القمر، على السكرى، ١٩٨٠). بناء عليه فطول الرجل العملاق يزيد على ٧ × ٦٦ = ٤٦٢ سنتيمترا أى أن طوله يزيد على ٤,٥ متراً بالتقريب، وهذا هو طول الرجل العملاق من نسل العاديين. لو افترضنا أن ارتفاع الرجل الطويل اليوم يكون فى حدود متران فإنه بالكاد يصل إلى خصر أو منتصف الرجل العملاق القديم، ويكون طول الرجل العملاق القديم بالنسبة لقامة الرجل الطويل المعاصر = ٤,٦٢/ ٢ = ٢,٣١ قامة. (شكل ٨-٢) .

(٣) **الحقو :** الخصر. ويقال: أخذ بحقوه وعاذ بحقوه: استجار به واعتصم (المعجم الوسيط - الجزء الأول، ١٩٧٢).

(٤) **البيضة :** الخوذة (المعجم الوسيط - الجزء الأول، ١٩٧٢). والخوذة توضع على رأس المقاتل لحمايته من الضرب والطعن.

(٥) **المرجل :** القِدر من الطين المطبوخ أو النحاس (المعجم الوسيط - الجزء الأول، ١٩٧٢). ومعنى بيضة كأنها مرجل كبير: أى كان يضع خوذة على رأسه كأنها قِدر كبير إشارة إلى كبر حجم رأسه.

(٦) **لأن الجمل ما كان يحمله :** كان وزن الرجل العملاق ثقيلا ونقدّر وزنه فى حدود ٢٥٠ كيلوجرام أى ربع طن مترى ولذلك فإن الجمل لا يستطيع حمله.

مقاييس الإنسان العملاق

نحن أمام حكاية يرويها أبو حامد الأندلسى، وهو جغرافى مسلم، وينقلها عنه العالم الموسوعى الإمام زكريا القزوينى فحواها أن الأول رأى بأرض بلغار رؤية العين شخصا عملاقا من نسل العاديين قوم نبى الله هود الذين هاجروا باتجاه الشمال. وهنا يجب أن نؤكد على أن أبا حامد هذا قد

جاب مناطق أوروبا الشرقية وعاش فيها ردحا من الزمن، بل إن ابنه تـزوج من أهلها وأقام بدار لهم هناك. ومن هنا فان قصة أبى حامد تكتسب ثـوب الحقيقـة فقـد رواهـا بناء على رؤيـة شخصية وليس سماعـا أو نقـلا عـن الغير.

والآن وبناء على هذه المشاهدة الحية، ما هى مقـاييس الإنسـان العمـلاق الحقيقية كما يمكن استنباطها مـن النـص؟ إن طـول هـذا الإنسـان العمـلاق يزيد قليلا على ٤,٦٠ مترا وبالطبع فبالإضافة إلى الطول المفرط فـهو منبسـط الجسم أى عريضه حيث يبلـغ عـرض المنكبـين حـوالى ١,٣٠ مـتر (نسبة عـرض المنكبـين إلى الطـول بالإنسـان المعتـاد = ٢/ ٧). ومـن هنـا تكـون الضخامة التى تجمع بين الطول الزائد وبسطة الجسم. إن وزن هذا العملاق يكون فى حدود ٢٥٠ كيلو جرام وهذا الرقم يساوى ربع طـن مـترى وعليـه فإن الجمَل لا يستطيع حمله بينما يركب عجلـة أثنـاء ذهابـه إلى الحـرب. رمَز الراوى إلى قوة الإنسان العمـلاق بأنـه كـان يـأخذ عظمـة سـاق الفـرس فيكسرها بيده فى حين أن غيره من الناس لا يستطيع كسرها بالفأس. هـذه العملية وحدها تبـين أن الإنسـان العمـلاق ذو قـوة وبـأس شـديدين يبلغـان عشرات أضعاف قوة الإنسـان المعتاد.

الإنسان العملاق منذ قديم الزمان

عرفنا من القصص الدينى وجود صنف عملاق من الناس مثل قبيلـة عـاد الأولى زمن نبى الله هود. وعرفنا من حكايات التاريخ وجود قبائل العمـاليق بغرب آسيا وكذلك وجود نوع من سلالتهم بالبلاد الأوروبية، (شـكل ٨–١) فماذا تقول الدراسات والبحوث العلمية بهذا الصدد؟

ذُكر فى كتـاب «الآلات الحجريـة وعصـور مـا قبـل التـاريخ (١٩٨٦)» ما يلى : ثم أخذ (الإنسـان الأول) يشـكل بعـد ذلـك عقـدة الصـوّان بإزالـة الشظايا منها بطريقة خشنة وفقا لنظام خاص لكى ينتج فيـها بالإضافـة إلى الطرف المدبب حداً قاطعا مرهفا. وكـانت بلطـة قبضـة اليـد بمثابـة سـلاح متعدد الأغراض وشـائع الاسـتعمال فـى العصـر الحجـرى القديـم الأسـفل.

ومعظم البلطات من هذا النوع ذات حجم عادى أى يلائم قبضة اليد العادية وقليل منها ذو حجم كبير غير عادى، الأمر الذى قد يوحى بوجود جنس عملاق بين أجناس إنسان ذلك الزمان.

هكذا تشير دراسة الآلات الحجرية القديمة دراسة علمية متأنية إلى وجود جنس عملاق من بنى البشر كان موجودا على الأقل منذ العصر الحجرى القديم الأسفل أى منذ بداية وجود الإنسان على الأرض من حوالى ٦٠٠,٠٠٠ سنة.

المسعودى يصف عادا الأولى

يقول الجغرافى والمؤرخ والرحالة المسعودى (توفى سنة ٣٤٦ هـ/ ٩٥٦ م) فى كتابه مروج الذهب عن قوم عاد نقلا عن جماعة من الإخباريين ما نصه: وذلك أن هؤلاء القوم كانوا فى هيئات النخل طولا، وكانوا فى اعتدال الأعمار وطولها بحسب ذلك من القدر، وكانت نفوسهم قوية وأكبادهم غليظة. ولم يكن فى الأرض أمه هى أشد بطشا وأكثر آثارا وأقوى عقولا وأكثر أحلاما من قوم عاد، ولم يكن الهلك بعرض فى أجسامهم لقوة آثار الطبيعة فيها، وما أتوه من الزيادة فى تمام البنية وكمال الهيئة على حسب ما أخبر الله عز وجل. وكانت بلاد عاد متصلة باليمن وهى بلاد الأحقاف وبلاد صحارى هى وبلاد عُمان إلى حضرموت.

أما أسباب عظم أجسامهم فإن ذلك يرجع إلى «قوة آثار الطبيعة فيها» أى يرجع إلى تأثير العوامل البيئية المختلفة من حولهم على أجسامهم من وفرة فى الغذاء والشراب ونقاء فى الهواء واعتدال فى المناخ واستقرار وطمأنينة فى المعيشة وملك عظيم وصحة ممتازة ونفوس قوية. كذلك لا ننسى أثر العوامل الوراثية فيهم فجدهم الأكبر عاد أول من ملك فى الأرض وكان رجلا جبارا عظيم الخلقة ذو ذرية كثيرة.

إذا فالأخباريون وهم من المؤرخين الرواة القدامى أشاروا إلى وجود أمة عاد وهم قوم من العماليق سكنوا منطقة الأحقاف بجنوب الجزيرة العربية وذلك بعد هلاك قوم نوح منذ بدايات وجود الإنسان على الأرض.

آثار أقدام ضخمة لرجل الجليد

طبعا لم ير أحد منا إنسانا عملاقا ولو رآه لفزع منه. لكن هل هذا الإنسان الضخم مازال موجوداً للآن؟ وإذا وجد فأين يعيش؟ هناك إرهاصات تؤكد أن الإنسان العملاق لا يزال يعيش فى عصرنا الحاضر وهو موجود بالمناطق النائية بشمال روسيا وهى مناطق جليدية متجمدة. تقول مجلة العلم نقلا عن مجلة تايم وسبوتنيك ونيوزويك (ديسمبر ١٩٩٦) ما نصه: كذلك لم يعد العلماء يكذبون الحكايات التى تتناثر عن وجود الإنسان البدائى الذى لا يزال يعيش بيننا، والتى يتناقلها سكان المناطق القريبة من الغابات وسلاسل الجبال الوعرة المرتفعة والمناطق النائية المهجورة، والذى أطلقت عليه العديد من الأسماء، مثل القدم الكبير ورجل الثلج وباسكواتش. وذكرت وكالة أنباء انترتاس الروسية أن سكان منطقة كاريليا فى شمال روسيا اعتادوا رؤية آثار أقدام ضخمة أطلقوا عليها آثار أقدام رجل الجليد الذى يميل للعزلة ويسارع بالاختفاء عند اقتراب الآدميين.

ما من شك أن الأقدام الكبيرة أو الأقدام الضخمة تدل على وجود إنسان عملاق للآن. إن قدم الإنسان المعاصر تبلغ ١/ ٦ طوله وبناء عليه فإن طول قدم الإنسان العملاق = ٤٦٢ × (١ / ٦) = ٧٧ سنتيمترا، فإذا كان طول أثر القدم الكبيرة أو الضخمة يتراوح بين ٧٥ – ٨٠ سنتيمترا، دل ذلك على أنها تخص الإنسان العملاق وبالتالى يجب تكثيف البحث عنه بمناطق سيبريا الشمالية.

هذا الإنسان الضخم لم يتمكن من المعيشة مع غيره من بنى الإنسان ذوى الأحجام المعتادة فانسحب إلى المناطق النائية بشمال آسيا وأوروبا. عاش الإنسان العملاق مفضلا الأصقاع الجليدية الشمالية عن غيرها ومبتعدا عن فضول الآخرين وتطلعهم المستمر إليه، وبذلك فرض علي نفسه العزلة والابتعاد عن بنى الإنسان.

ومن المهم أن نشير إلى أن الإنسان العملاق يعيش فى هيئة أسرة أو قبيلة صغيرة العدد بدليل أنه حافظ على نسله من وقت مشاهدة الجغرافى أبو حامد الأندلسى له فى القرن الثانى عشر الميلادى حتى وقت رؤية الأقدام الضخمة بالجليد فى القرن العشرين الميلادى،أى أنه حافظ على نسله ووجوده على مدى القرون الثمانية الأخيرة أى على مدى الـ٨٠٠عاما الأخيرة من عمر الإنسان على الأرض، الأمر الذى يؤكد معيشته الأسرية أو القبلية.

الخلاصة

روى القزوينى العالم الموسوعى كاتب القرن الثالث عشر الميلادى عن الجغرافى المسلم أبو حامد الغرناطى الأندلسى (توفى سنة ١١٧٠ م) حكاية مشاهدة الأخير رؤية العين للإنسان العملاق من نسل العاديين قوم نبى الله هود. وقد وصف أبو حامد الأندلسى هذا العملاق وصفا محكما أعطى صورة واضحة عنه وعن حجمه وقوته.

ولأول مرة فى التاريخ يمكن الحصول على مقاييس حقيقية للإنسان العملاق: فطوله ٤,٦٠ مترا يوازى ما يزيد قليلا على قامتين من إنسان معاصر طويل، وعرض المنكبين ١,٣٠ متر، ووزنه حوالى ربع طن مترى كذلك فهو ذو قوة وبأس شديدين يبلغان عشرات المرات أضعاف قوة الإنسان المعتاد. مثل هذا العملاق كان موجودا من قديم الزمان ورآه أهل العصور الوسطى ولا يزال يوجد – على أرجح الأقوال – إلى الآن منعزلا بالمناطق النائية المتجمدة بشمال روسيا.

يقول الحق تبارك وتعالى فى سورة الأعراف/ آية ٦٩ ﴿ **واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون** ﴾. وحينما ندقق النظر فى هذا الجزء من الآية الكريمة ﴿ وزادكم فى الخلق بسطة ﴾ ونقارنه بالمقاييس الكبيرة المذكورة أعلاه للإنسان العملاق من نسل العاديين يتضح لنا إعجاز القرآن الكريم فيما رواه من قصص الأقوام الغابرة.

ويقول الحق جل وعلا فى سورة فصلت/ آية ١٥ ﴿ **فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الـذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون** ﴾. ومرة أخرى نلفت النظر إلى ما قرره القرآن الكريم بالنسبة لقوة أهل عاد ونقارنـه بمـا توصلـت إليه الدراسة الحالية بـأن قوتـهم تبلـغ عشـرات المـرات قـدر قـوة الإنسـان المعتاد. وفى هذا صدق وإعجاز لما ورد بالقرآن الكريم.

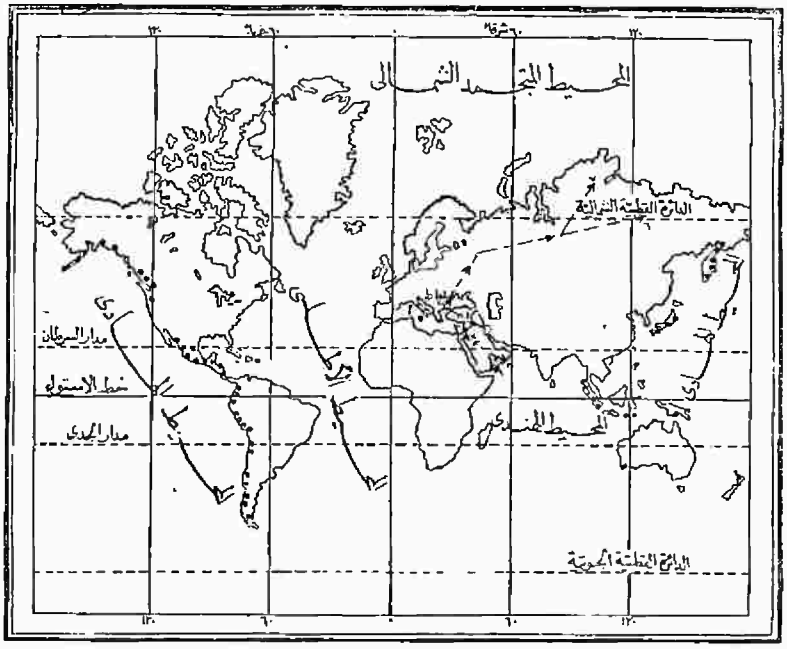

شكل (٨–١) : خط سير العاديين العمالقة الذين نجوا من قوم هود، بعضهم رحل إلى الشمال وسكن الحجر وهم ثمود قوم صالح. واصل الناجون رحلتهم إلى فلسطين ثم إلى غرب الفرات ثم إلى بلغاريا ثم أخيرا إلى المناطق المتجمدة الشمالية بروسيا. يلاحظ أن قلة من الناجين من قوم هود هم الذين اتجهوا جنوبا إلى بلاد حضرموت واليمن.

دليل الأرقام المسلسلة بالخريطة : ١– إرم مدينة عاد ٢ – الحجر موقع ثمود قوم صالح ٣ – الرملة بفلسطين ٤ –غربي الفرات ٥ – بلغاريا ٦، ٧ – المناطق الجليدية بسيبريا وشمال روسيا ٨، ٩ – حضرموت واليمن.

الخريطة منقولة من: الأطلس الحديث، عمل: محمد حمدان ولبيب العسال، ملتزم الطبع والنشر: دار المعارف بمصر (١٩٤٦).

شكل ٨-٢ : صورة فوتوغرافية لأطول رجل فى العالم المعاصر (١٩٩٩) وطوله ٢.٤٠ متر. يلاحظ أن الإنسان العملاق المذكور بالدراسة الحالية يصل طوله إلى حوالى ضعفى طول الإنسان الطويل المعاصر أى ٤,٦٥ متر.

الفصل التاسع

عماليق من بلاد الرافدين

يظفر الباحث فى كتب التراث بين الحين والآخر بذكر كلمة أو نبذة عن مخلوقات عجيبة الصورة ومن بين هذه المخلوقات الإنسانية: العماليق، وفى هذه الدراسة نتحدث عن العماليق الذين سجلهم التاريخ ببلاد الرافدين أو بلاد ما بين النهرين وهى بلاد العراق وفى أمة من أممهم ألا وهى أمة الأكراد. والعماليق – كما هو معروف – يتميزون بطول مفرط وحجم ضخم وقوة شديدة (لغز الإنسان العملاق بأوروبا، ١٩٩٧).

ومرجعنا فى الدراسة الحالية الذى تعرّض لذكر عماليق بلاد الرافدين هو: (كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ١٩٦٨) للإمام العالم زكريا بن محمد بن محمود القزوينى المتوفى عام ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣ م، وإليك نص حديثه بهذا الشأن فى الجزء السابع – صفحة ٣٣٩ و ٣٤٠.

حديث القزوينى عن عماليق بلاد الرافدين

يقول الإمام القزوينى بكتابه المشار إليه أعلاه ما نصه:

منها (أى من مخلوقات عجيبة الصورة) ما روى عن وهب بن منبه فى عوج ابن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجملهم، وكان لا يوصف طوله وعظمه، وعمّره الله تعالى عمرا طويلا[١] حتى أدرك زمان موسى عليه الصلاة والسلام، وكان قد أدرك نوحا عليه الصلاة والسلام أيضا قبل ذلك، وسأل نوحا أن يحمله فى السفينة فقال له: من يحملك، اغرب يا عدو الله عنى.. فكان ماء الطوفان إلى وسطه[٢]. وكان جبارا

فى خلقته وأفعاله، يسير فى الأرض برا وبحرا[٣] ويفسد ما شاء..

ومنها ما حدثنى بعض الفقهاء بالموصل، أنه شاهد فى الأكراد-وهم جيل يسكنون بعض جبال الموصل فى زماننا- إنسانا طوله تسع أذرع[٤]،وهو بعد صبى مابلغ الحلم،وكان يأخذ بيد الرجل القوى فيرميه خلفه[٥]. وأراد صاحب الموصل أن يستخدمه فذكروا له أن فى عقله خبلا لا يصلح لذلك.

يحتوى النص السابق على بعض العبارات التى تحتاج إلى بيان أبعادها ومعرفة فحواها، ونوجز شرحها فى النقاط الخمس التالية:

(١) **وعمرّه الله تعالى عمرا طويلا** : كان العملاق عوج بن عنق معمرا طويل العمر فقد أدرك زمن نوح عليه السلام أثناء الطوفان بالعراق وأدرك بعده زمن موسى عليه السلام أثناء الخروج مع قومه والتيه. وطبقا لتقديرات حديثة عن زمن تسلسل الأحداث فى تاريخ الأنبياء والرسل (حياةِ الأنبياء، عادل طه يونس، ١٩٩٠) فإن زمن حدوث طوفان نوح هو ٣٣٩٣ ق. م. وزمن خروج موسى وقومه من مصر ١٤٤٧ ق. م.، والفرق بينهما ١٩٤٦ سنة، فيكون عمر العملاق أكثر من ألفى عام وأنه عاش بالعراق والشام.

(٢) **فكان ماء الطوفان إلى وسطه**: إذا افترضنا أن ماء الطوفان فى ذلك الوقت والمكان كان يغطى كل شىء على اليابسة من شجر وحيوان وإنسان فمعنى هذا أن عمق الماء فى حده الأدنى لن يقل عن مترين، فإذا كان ماء الطوفان يصل إلى وسط الإنسان العملاق فإن طوله لن يقل عن أربعة أمتار أو يزيد على ذلك.

(٣) **يسير فى الأرض برا وبحرا** : ما دام طول العملاق عوج بن عنق يزيد على أربعة أمتار فهو يستطيع السير بسهولة فى البر وفى المناطق الشاطئية من البحر التى لا يزيد عمقها على أربعة أو خمسة أمتار. ولم يكن هذا حاله وحده وإنما كان حال أمثاله من العماليق، وحال أبينا آدم جد البشر جميعا الذى كان عملاقا فى هيئته كذلك (آدم أبو البشر: هل كان عملاقا؟ ١٩٩٧).

(٤) **أنه شاهد فى الأكراد.. إنسانا طوله تسع أذرع**: شاهد الفقيه الموصلى -وهو محل ثقة- فى الأكراد إنسانا عملاقا ورآه رؤية العين مما يعنى وجود هذا الإنسان حقيقة واقعة مؤكدة لا مجال للشك فيها مطلقا. كان طول الكردى العملاق تسع أذرع فإذا كان الذراع = ٦٦ سنتيمترا (جيولوجية القمر، ١٩٨٠) فيكون طول العملاق =(٦٦ /١٠٠) × ٩ = ٥.٩٤ مترا. أما إذا كانت وحدة القياس هى الذراع السوداء وطولها ٤٩,٣ سنتيمتر (العرب وعلوم الأرض، ١٩٨٨) فيكون طول العملاق =(٤٩,٣/١٠٠)× ٩ = ٤,٤٤ مترا. ويكون متوسط طول الكردى العملاق = ٥,١٩ أمتار أى ٥,٢٠ أمتار.

معنى هذا أن شمال العراق بما فيه من أمة الأكراد كان موطنا لبعض أنواع العماليق. هذا بالمقارنة بطول عملاق آخر من بلاد بلغاريا (لغز الإنسان العملاق بأوروبا،١٩٩٧) والذى يصل طوله إلى ما يزيد على ٤,٦٢أمتار من هنا يتضح أن وجود الإنسان العملاق حقيقة واقعة وقد وجد ببلاد العراق وبلاد بلغاريا بالإضافة إلى أماكن أخرى، وكان متوسط طوله ٤,٩٠أمتار أى بمعدل قامتين ونصف من إنسان طويل معاصر.

يؤخذ فى الاعتبار أن الكردى العملاق صبى ما بلغ الحلم، أى أن عمره حوالى ١٤ سنة ومتوسط طوله ٥,٢٠ أمتار معنى هذا أن أمامه فرصة مؤكدة لزيادة الطول مع تقدم العمر حتى عشرين سنة، حيث يثبت الطول، ونقدر طوله عند تمام النضج بحوالى ٥,٥٠ أمتار.

(٥) وكان يأخذ بيد الرجل القوى فيرميه خلفه: هـذا تعبير مؤكد عن قوة الكردى العملاق التى تبلغ عشـرات أضعـاف قـوة الإنسـان العـادى المعاصر.

سجل العالم القزوينـى بموسـوعته المسماة «عجـائب المخلوقـات» قصـة عملاقين أحدهما عاش جزءاً من وقته بالعراق وكـان طولـه أزيـد مـن أربعـة أمتار وأدرك زمن نبى الله نوح أثناء الطوفان وكـان يسـير فـى الـبر والبحـر ويفسد فى الأرض كيف يشاء. أما قصة العملاق الثانى فهو كردى حدث من شمال العراق، (شكل ٩–١)، طوله حوالى ٥,٢٠ أمتار شديد القـوة والبـأس وتبلغ قوته عشرات أضعاف قوة الإنسان المعتاد.

عماليق من مختلف العصور والأماكن

جدير بالذكر الإشارة بأن الحالتين المذكورتين أعلاه لعملاقـين مـن بـلاد العراق ليست هما الحالتين الوحيدتين. فهناك سيدنا آدم أبـو البشـر وكـان طويلاً عملاقا بـالغ الطـول (آدم أبـو البشـر: هـل كـان عملاقـا؟ ١٩٩٧). وهناك عاد الذى إنحدر منه العاديون قوم هود عليـه السـلام، وعمليـق بـن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح جد العماليق، بالإضافة إلى عملاق بلغاريا وهـو من نسل العـاديين الذيـن هـاجروا بإتجـاه الشـمال (لغـز الإنسـان العمـلاق بأوروبا، ١٩٩٧). هذا بالإضافة إلى وجود الإنسان العملاق صـاحب القـدم الكبير للآن منعزلا بالمناطق النائية المتجمدة بشـمال روسـيا ألا وهـى منـاطق سيبيريا الجليدية (مجلة العلم، ديسمبر ١٩٩٦).

هذا التسلسل الوراثى للعماليق ابتداء من آدم أبو البشر إلى عاد ثم عمليق ثم عملاق بلغاريا ثم العملاق الكردى حتى العمـلاق المعـاصر صـاحب القـدم الكبير بسيبيريا يدل على وجود هذا النوع من البشر منذ بدء وجود الخليقة على وجه الأرض وأنه نجح فى بقاء نوعه عبر الأزمنة والعصور حتى الآن.

هذا رغما عن ندرة نوعه وضخامة هيئته وشدة بأسه واحتياجه كميات كبيرة من الطعام والشراب وميله للعزلة، الأمر الذى يعنى حيوية هذا النوع من البشر وقابليته للصمود والاستمرار عبر مراحل التاريخ وإن كان اتجاهه العام يتحرك نحو الانقراض.

الخلاصة

سجل العالم القزوينى كاتب القرن السابع الهجرى أو الثالث عشر الميلادى بموسوعته المسماة «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» قصة عملاقين أحدهما عاش بعض الوقت ببلاد الرافدين (العراق) وكان طوله أزيد من أربعة أمتار. وأدرك زمن نبى الله نوح أثناء الطوفان وكان يسير فى البر ويخوض البحار. أما العملاق الثانى فهو كردى من شمال العراق طوله حوالى ٥,٢٠ مترا شديد القوة والبأس تبلغ قوته عشرات أضعاف قوة الإنسان المعتاد.

ورغما عن ندرة هذا النوع العملاق من البشر عبر الأزمنة والعصور إلا أنه نجح فى بقاء نوعه مما يدل على حيويته وقابليته للصمود والاستمرار عبر مراحل الزمن. غير أنه يؤخذ فى الاعتبار عزلته الشديدة وتناقص أعداده باستمرار مع تقدم الزمن حتى يكاد يتلاشى نوعه فى الوقت الحاضر.

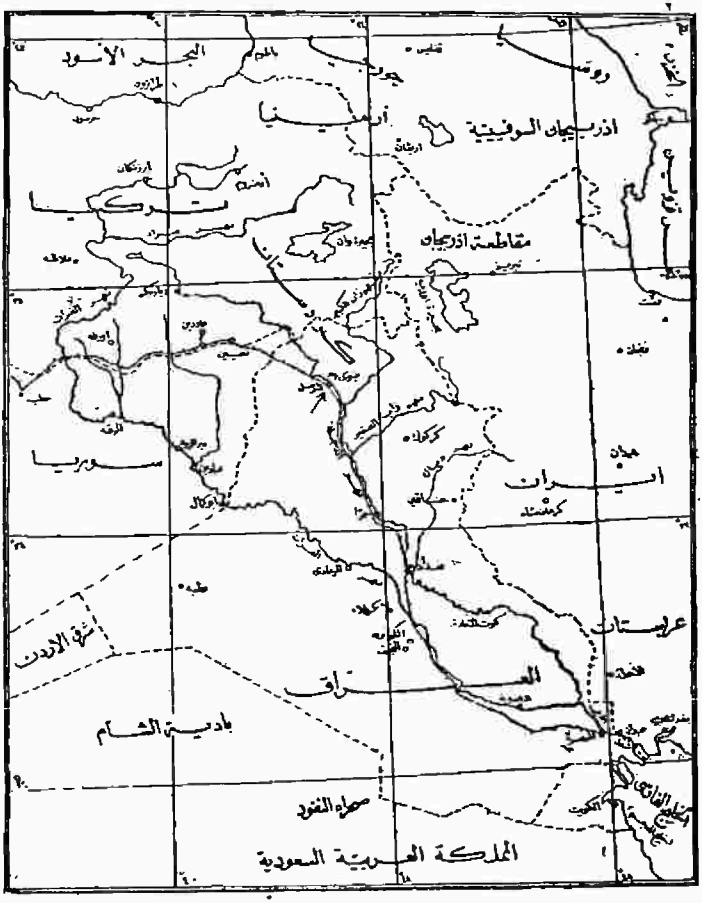

شكل (٩–١) : خريطة جغرافية لبلاد ما بين الرافدين أو العراق توضح موقع مدينة الموصل التى يسكن بجبالها نوع من الأكراد منهم العملاق الكردى الحدث الذى أشار إليه القزوينى فى كتابه عجائب المخلوقات.

المرجع : عن الأطلس الحديث، عمل: محمد حمدان ولبيب العسال. الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة الثامنة، سنة (١٩٤٦).

الفصل العاشر

عماليـــق مكّـة

يبدو أن قصص العماليق كثيرة لا تنتهى، ووجودهم متنوع: فهم يوجدون بأماكن متفرقة من سطح الأرض وفى أزمان مختلفة أى أنهم قوم منتشرون متواصلون وإن كانوا على قلة فى العدد. ويتميز العماليق كما هو معروف بطول مفرط وضخامة بالجسم وقوة شديدة تجعل من يراهم يهابهم لأول وهلة. وقد شاهدهم عديد من الناس أحياء وشاهدوا أجسادهم أمواتا. ولا داعى للتعجب من وجود هذا النوع الإنسانى الفريد: فمملكة الحيوان أنجبت فى قديم الزمان الديناصورات وهى حيوانات عملاقة بائدة برية وبحرية وطائرة يزن الفرد منها عشرات الأطنان ثم أنجبت حديثا الحيتان وهى حيوانات بحرية يزن الواحد منها كذلك عشرات الأطنان. حتى الفئران وهى حيوانات صغيرة فى المعتاد ولكن ظهر منها مؤخرا أنواع كبيرة (سوبر) يصل طول الواحد منها إلى نحو ذراع.

واليوم نتحدث عن نوع جديد من العماليق الذين عثر على أجسادهم بعد موتهم بشق بأحد الجبال بشعاب مكة. ورد ذكر هؤلاء العماليق بكتاب (حياة الحيوان)، لمؤلفه كمال الدين محمد بن موسى الدميرى المتوفى سنة ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م. وإليك القصة كما رواها الكتاب المذكور.

قصة عماليق مكة المكرمة

ذكر كتاب (حياة الحيوان) – الجزء الثانى لمؤلفه العالم الموسوعى كمال الدين الدميرى (١٩٩١) تحت بند الثعبان، صفحة ٢٨٤ – ٢٨٥، قصة طريفة عن ثعبان مصنوع أرشد أحد أعراب مكة وهو عبد الله بن جدعان ابن عم السيدة عائشة إلى شق بجبل بشعاب مكة يوجد بجواره بيت ودخل الأعرابى البيت، وإليك وصف ما رآه منقولا عن المرجع المذكور.

ودخل البيت فإذا جثث طوال على سرر لم ير مثلهم طولا وعظما[1]. وعند رءوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم. وإذا هم رجال من ملوك جرهم، وآخرهم موتا الحارث بن مضاض صاحب العذبة الطويلة[2]. وإذا عليهم ثياب من وشى[3] لا يمس منها شيء إلا انتثر كالهباء من طول الزمان[4]، مكتوب فى اللوح عظات.

قال ابن هشام: كان اللوح من رخام، وكان فيه: أنا نفيلة بن عبد المدان بن خشرم بن عبد يا ليل بن جرهم بن قحطان بن نبى الله هود عليه السلام[5]، عشت من العمر خمسمائة عام[6]. وقطعت غور الأرض ظاهرها وباطنها فى طلب الثروة والمجد والملك، ولم يكن ذلك ينجينى من الموت..

وإذا فى وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد. فأخذ منه ما أخذ، ثم علّم على الشق بعلامة وأغلق بابه بالحجارة. وأرسل إلى أبيه بالمال الذى خرج به منه يسترضيه ويستعطفه. ووصل عشيرته كلهم فَسَادهم. وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف.

فى النص المقتبس أعلاه عدد من التعبيرات تحتاج إلى شرح وتوضيح حتى يمكن فهم المعنى الإجمالى للنص وعدد هذه التعبيرات ستة نوجز شرحها فيما يلى.

(١) **فإذا جثث طوال على سرر لم ير مثلهم طولا وعظما**: يعنى هذه الأجساد تخص ناسا من العماليق. والكلام واضح المعنى فى موضعين من الجملة هما «فإذا جثث طوال» وفى «لم ير مثلهم طولا وعظما».

(٢) **صاحب العذّبة (فتح الذال) الطويلة** : فى (المعجم الوسيط – الجزء الثانى ١٩٧٣) العذبة: طرف الشيء. يقال عذبة السوط، وعذبة

اللسان، وعذبة العمامة. والعذبة: الخيط يرفع به الميزان، جمع عذب. وقد تشير كلمة العذبة الطويلة إلى طول طرف العمامة نتيجة طول قامته لأنه من العماليق أو إلى فرط عدله أو إلى غير ذلك والله أعلم.

(٣) **ثياب من وشْى** : الوشى: نقش الثوب، ويكون من كل لون. والوشى: نوع من الثياب الموشية. وحجر به وشى: حجر من معدن فيه ذهب (المعجم الوسيط – الجزء الثانى، ١٩٧٣). وعلى هذا فالثياب الموشاه هى ثياب منقوشة وليست سادة وقد يكون نقشها بخيوط من ذهب.

(٤) **لا يمس منها شيء إلا انتثر كالهباء** : هذه حقيقة الأجساد البالية المدفونة وما عليها من كفن لعزلها عن الهواء، فحينما يفتح عليها يتناثر ما عليها من قماش لتفتته. وذِكْر هذه الواقعة بالذات يدل على أن القصة حقيقية أو على الأقل فإن أساسها حقيقى وبالأخص إذا أُخذ فى الاعتبار طول زمن المواراة.

(٥) **أنا نفيلة.. ابنَ نبى الله هود** : من المعروف أن هود عليه السلام أرسل إلى قوم عاد وكانوا من العماليق وكان هود مثلهم، وبالتالى فليس من المستغرب أن يكون بعض أحفاده ومن بينهم نفيلة المذكور هنا من العماليق. وهذا دليل آخر يؤكد صحة ما ورد بالقصة عن وصف أجساد الرجال الموتى.

(٦) **عشت من العمر خمسمائة عام** : كانت الأعمار فى الماضى البعيد بصفة عامة طويلة. ومن نعم الله على العماليق من قوم عاد أن الله رزقهم بسطة فى الجسم والعمر.

تحتوى الرواية المذكورة أعلاه على عدة حقائق يؤكد بعضها بعضا عن هؤلاء الرجال الموتى من ملوك جرهم منها: تفتت الأكفان عند مسها، وانتهاء نسبهم إلى نبى الله هود، وطول أعمارهم. وهذه الأمور الثلاثة

وغيرها تدل على سلامة بناء القصة وواقعيتها وبعدها عن المبالغة والمغالطة فى معظم أجزائها. وهكذا فنحن أمام أجساد حقيقية لرجال من ملوك جرهم من العماليق مدفونة بجبل بأحد شعاب مكة.

يلاحظ أن قبيلة عاد قوم نبى الله هود من الأمم السامية التى استقرت بالأحقاف بين حضرموت والشحر وعُمان بالقرب مما يسمى الآن الربع الخالى (بشبه الجزيرة العربية)، وهى الآن أرض صحراوية رملية جرداء تكثر فيها الكثبان الرملية (عبد الوهاب النجار، ١٩٨٥). بناء عليه فإن ملوك جرهم الذى ينتهى نسبهم إلى نبى الله هود وهو من العماليق وكانوا أيضا من العماليق أخذوا فى الانتشار بشبه الجزيرة العربية فاتجهوا من صحراء الأحقاف بالربع الخالى باتجاه الشمال الغربى نحو مكة بيت الله الحرام واستوطنوها وحكموا البلاد من هناك، (شكل ١٠-١). وهذا هو السبب فى وجود أجسادهم بعد موتهم بمكة وليس بغريب أن تتواجد أجساد هؤلاء الملوك بمكة: فهم أصلا من منطقة قريبة بالأحقاف وأصلهم ينتهى إلى عماليق عاد. وتجدر الإشارة إلى أن بعض من نجا من العماليق من قوم عاد إما أنه اتجه شمالا باتجاه بادية الشام أو غربا باتجاه مكة.

عماليق آخرون

توصلنا فى دراسات سابقة إلى وجود العماليق فى بلاد متعددة وأزمنة مختلفة متعاقبة، فأين يقع عماليق مكة بالنسبة لغيرهم من العماليق؟ إن التسلسل الزمنى وحده يضع عماليق مكة مباشرة بعد قوم عاد وقوم عمليق. هذا التسلسل الوراثى للعماليق ابتداء من آدم أبو البشر إلى عاد وعمليق ثم عماليق مكة ثم عملاق بلغاريا ثم العملاق الكردى حتى العملاق المعاصر صاحب القدم الكبير بسيبيريا يدل على وجود هذا النوع من البشر منذ بدء وجود الخليقة على وجه الأرض وأنه نجح فى بقاء نوعه عبر الأزمنة والعصور حتى الآن (عماليق من بلاد الرافدين، ١٩٩٧).

وهكذا فإن اكتشاف أجداث ملوك جرهم بشعاب مكة يمثل حلقة مهمة وجديدة فى سلسلة وجود العماليق وتعاقبهم الزمنى. ولا شك أنه باستمرار البحث والتنقيب فى المراجع القديمة سوف نتوصل إلى وجود المزيد من هذا النوع الإنسانى الذى سكن الأرض فترة من الوقت وأوشك الآن على التعرض للإنقراض.

الخلاصة

انتهت الدراسة الحالية إلى إماطة اللثام عن وجود أجساد حقيقية لرجال موتى من ملوك جرهم ينتسبون إلى العماليق مدفونة بجبل بأَحَد شعاب مكة.

ويبدو أن ملوك جرهم الذى ينتهى نسبهم إلى نبى الله هود وهو بهيئة العماليق وكانوا أيضا من العماليق أخذوا فى الانتشار بشبه الجزيرة العربية فاتجهوا من صحراء الأحقاف بالربع الخالى، وهى موطنهم الأصلى، واتجهوا منحدرين إلى الشمال الغربى نحو مكة المكرمة واستوطنوها وحكموا البلاد من هناك.

ذُكرت حكاية عماليق مكة بكتاب حياة الحيوان – الجزء الثانى لمؤلفه كمال الدين محمد بن موسى الدميرى المتوفى سنة ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م تحت بند الثعبان. ومازلنا فى انتظار المزيد من قصص العماليق.

شكل (١٠-١) : خريطة تبين هجرة بعض عماليق عاد بعد نجاتهم باتجاه شمال غرب. الهجرة ابتدأت من صحراء الأحقاف بالربع الخالي بشبه الجزيرة العربية وهي موطنهم الأصلي إلى مكة المكرمة.

عن الأطلس الحديث، عمل: محمد حمدان ولبيب العسال.

الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة الثامنة، سنة (١٩٤٦).

الفصل الحادى عشر

عماليـــق مـن صحـراء وبـار

تعرض العماليق كثيرا للإهمال فى دراستهم كنوع من بنى البشر، فهم لم يحظوا من علماء الجغرافيا والتاريخ وعلم الإنسان وعلم الأجنـاس إلا بـالنذر اليسير من الدراسـة والبحـث، ومعظـم هـذه العلـوم تكتفـى بإشـارة سـريعة حينما يذكر اسم العماليق. ومن حسن الحظ أن ابتدأت الأضواء تتجه حاليا نحو دراسة هذا النـوع الإنسـانى الفريـد فـى صفاتـه. وقـد سـبق أن أصـدر المؤلف خلال عامى ١٩٩٦ و ١٩٩٧ عدة دراسات عـن العمـاليق منـها: آدم أبو البشر، هل كان عملاقا؟ – لغز الإنسان العملاق بأوروبـا – عمـاليق مـن بلاد الرافدين – وعماليق مكة. واليوم نقدم دراسة جديدة عنوانها: عمـاليق من صحراء وبار بشبه الجزيرة العربية.

مرجعنا فى دراسة عماليق وبار كتاب آثار البلاد وأخبار العباد تصنيـف الإمام العالم الهمام زكريا بن محمد بن محمـود القزوينـى الـذى عـاش فـى الفترة بين سنة ٦٠٠ – ٦٨٢هـ أو ١٢٠٤ – ١٢٨٣ م. وما من شـك أن دوام البحث والتنقيب بهذه المراجع القديمة القيمة سوف يأتى باستمرار بجديـد عن العماليق سـواء مـن ناحيـة صفاتـهم الشـخصية أو توزيعـهم الجغرافـى أو تاريخ أممهم وشعوبهم وآثارهم التى تركوها.

أرض وبار فى كتاب آثار البلاد

يقول الإمام القزوينى فى كتابه المشار إليه أعـلاه والمسـمى «آثـار البـلاد وأخبار العباد» (١٩٩٢)، عن صحراء وبار، صفحة ٦٣ – ٦٥، ما نصه:

> وبار: قال الليث: هو أرض بين اليمن وجبال يبرين[1] من محال عاد، فلما أهلكوا أورث الله أرضهم الجـن فـلا يتقاربـها

أحد من الناس. قال أهل السير: هى مسماة بوبار بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام وهى ما بين الشحر إلى صنعاء زهاء ثلاثمائة فرسخ[٢] فى مثلها.

قال أحمد بن محمد الهمذانى: وبار كانت أكثر الأرضيين خيرا وأخصبها ضياعا وأكثرها شجرا ومياها وثمرا، فكثرت بها القبائل وعظمت أموالهم، وكانوا ذوى أجسام[٣] فأشروا[٤] وبطروا لم يعرفوا حق نعم الله تعالى عليهم، فبدل الله تعالى خلقهم وصيرهم نسناسا[٥]، لأحدهم نصف رأس ونصف وجه وعين واحدة ويد واحدة ورجل واحد. فخرجوا يرعون فى تلك الغياض[٦] على شاطئ البحر كما ترعى البهائم، وهم فيما بين وبار وأرض الشحر وأطراف اليمن، يفسدون الزرع فيصيدهم أهل تلك الديار بالكلاب، وينفرونهم عن زروعهم وحدائقهم.

حكى ابن الكيس النمرى قال: كنا فى رفقة أضللنا الطريق، فوقعنا فى غيضة على ساحل البحر لا يدرك طرفاه، فإذا أنا بشيخ طويل كالنخلة[٧]، له نصف رأس ونصف بدن وعين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة، فأسرع مثل حضر الفرس العتيق[٨] وهو يقول:

فررت من جور الشراه[٩] شدا
إذ لم أجد من الفرار بدا
قد كنت دهرا[١٠] فى شبابى جلدا
فها أنا اليوم ضعيف جدا

زعم العرب أن سكان أرض وبار جن، فلا يدخلها إنس أصلا، فإن دخلها غالطا أو عامدا حثوا فى وجهه التراب،

فإن أبى إلا الدخول خبلوه أو قتلوه، أو ضلّ فيها ولا يعرف له خبر.

بالنص السابق عشرة مصطلحات صعبة وتعبيرات غامضة تحتاج إلى شرح وتوضيح حتى يمكن فهم سياق النص والإلمام بمضمون الحكايات المختلفة التى وردت بسياقه. وبيان هذه المصطلحات والتعبيرات كالآتى:

(١) **جبال يبرين** : تقع إلى الشمال الغربى قليلا من الربع الخالى بشبه الجزيرة العربية (أطلس جمهورية مصر العربية والعالم، ١٩٨٢). وهى تقع إلى الشمال من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (سابقا) وحاليا ما يسمى باليمن الجنوبى بحيث تكون إلى الجنوب قليلا من مدار السرطان، (شكل ١١-١).

(٢) **الفرسخ العربى** : وحدة أطوال قديمة تكافئ حوالى ستة من الكيلومترات الحالية (جيولوجية القمر، ١٩٨٠، ص ٢١). وبالتالى فإن مساحة أرض وبار كما ورد بالنص = ٣٠٠ × ٦ = ١٨٠٠ كيلو متر فى مثلها.

(٣) **وكانوا ذوى أجسام** : إشارة إلى أن أجسامهم طويلة ضخمة وقوية وقد يكونون من العماليق أو من نوع آخر من البشر قريب من هيئتهم. وما دامت أرض وبار من أماكن عاد الأولى ذوى الأجسام المنبسطة فليس من المستبعد أن يكون القوم من نسلهم ولذلك فمن المرجح أنهم من العماليق.

(٤) **فأشروا** : يقال أشرت الشجرة أى امتدت أوراقها على الأرض (المعجم الوسيط - الجزء الأول، ١٩٧٢). والمقصود امتداد وتفاقم شرهم وظلمهم.

(٥) **النسناس** : (تشديد النون الأولى وبالفتح أو الكسر). فى الأصل نوع من القردة صغير الجسم طويل الذنب (المعجم الوسيط - الجزء

الثانى، ١٩٧٣). لكن سياق النص يشير إلى أن الكلمة تفيد صنفا من الناس له نصف رأس وعين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة أى نصف إنسان أو نصف الناس. ومن هنا فإن كلمة نسناس تبدو منحوتة من كلمتين (نصف + ناس) أو اختصارا (نص + ناس) ثم خففت إلى نسناس.

(٦) **الغياض** : مفردها غيضة وهى الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف (المعجم الوسيط – الجزء الثانى، ١٩٧٣).

(٧) **شيخ طويل كالنخلة**: إن تعبير «شيخ طويل» يدل على أن هذا المخلوق ينتمى أصلا إلى عالم البشر رغما عن تشوهه الظاهر فليس فى النسانيس من هو بطول النخلة. ويؤكد ذلك أنه يتكلم بل وينشد شعرا «فأسرع.. وهو يقول». معنى هذا أنه لا ينتمى إلى عالم الحيوانات كالقرود أو النسانيس والأرجح هنا وصفه بأنه نصف إنسان أو شق إنسانى كما ذكرته بعض المراجع. أما طوله المفرط «شيخ طويل كالنخلة» فيدل على أنه أصلا من العماليق. ويظهر أن التشوه الذى أصاب هذا الشيخ ورهطه كان نتيجة كفرهم بالله فأصابهم غضب وانتقام من الله العزيز الحكيم فشوه أشكالهم وجعل معيشتهم كالحيوانات.

(٨) **حضر الفرس العتيق** : أحضر الفرس أو الرجل: وثب فى عدوه ومعنى حضر الفرس: قفزه أثناء الجرى (المعجم الوسيط الجزء الأول، ١٩٧٢). أما العتاق من الخيل فهى النجائب (المعجم الوسيط الجزء الثانى، ١٩٧٣)، ويكون معنى حضر الفرس العتيق أى وثب وجرى النجائب من الخيل.

(٩) **الشراه** : فرقة من الخوارج (المعجم الوسيط-الجزء الأول، ١٩٧٢). وقد يكون المقصود الخارجون عن العدل أى الظالمون والأشرار.

(١٠) **دهرا** : الدهر أى الهمة والإرادة والغلبة (المعجم الوسيط الجزء الأول، ١٩٧٢). ومعنى قد كنت دهرا: أى ذو همة وغلبة وقوة.

تفيد الروايات المتواترة عن أرض وبار أنها تقع بين الشحر شرقا إلى صنعاء عاصمة اليمن غربا ومن جبال يبرين بنجد شمالا إلى سواحل خليج عدن جنوبا وتمتد طولا حوالى ١٨٠٠ كيلومتر، (شكل ١١-١). وهى من بلاد عاد قوم نبى الله هود الذين أهلكهم الله بكفرهم وظلمهم فأرسل عليهم ريحا صرصرا عاتية تركتهم صرعى كأعجاز نخل خاوية، ونجى الله هودا والذين آمنوا معه، وقبره موجود باليمن الجنوبى شاهدا على أماكن قوم عاد، (شكل ١١-٢).

سكن ديار وبار بعض الناجين من قوم عاد وكانت أرضها خصبة وشجرها كثيرا ملتفا ومياهها وفيرة وثمارها مباركة وخيرها عظيما فكثرت بها القبائل وكانوا ذوى أجسام منبسطة أو كانوا من العماليق. أى أن عماليق وبار يشكلون مجموعة جديدة من العماليق تضاف إلى ما سبق توضيحه من وجود عماليق آخرين ببلاد متعددة وأزمنة متعاقبة.

ولما لم يعرف هؤلاء القوم العماليق حق نعم الله عليهم بدل الله خلقهم وجعلهم بصورة مشوهة فى هيئة نصف إنسان أو شق لأحدهم نصف رأس وعين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة فكانت معيشتهم أقرب ما تكون إلى حياة البهائم والحيوانات فأخذوا يرعون الغابات والزراعات القريبة من المدن فيطاردهم أهل تلك الديار بالكلاب.

الشق الآدمى فى كتاب عجائب المخلوقات

ذكر الإمام القزوينى (توفى سنة ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣ م) فى كتابه عجائب المخلوقات- الجزء السادس (١٩٦٨) مخلوق الشق كنوع من المخلوقات المتشيطنة وصورته نصف آدمى، صفحة ٢٥٩، فنراه يقول:

> ومنها (أى من المخلوقات المتشيطنة) الشق، وهو نوع آخر من المتشيطنة صورته كنصف آدمى. زعموا أن النسناس مركب من الشق والإنسان، يظهر للإنسان فى أسفاره.

وذكر أن علقمة بن صفوان بن أمية خرج فى بعض الليالى، فانتهى إلى موضع يقرب بحومان (مكان بجنوب غرب شبه الجزيرة العربية)، فإذا قد تعرض له شق، فقال الشق: إنى مقتول، وإن لحمى مأكول، أضربهم بالهدلول (الضارب)، ضرب غلام بهلول (السيد الكريم). فقال علقمة: يا شق، أقبل، مالى ولك؟ عهد على بفضلك، تقتل من لا يقتلك؟ فقال الشق: هيت لك نفسى، فاصبر لما قد حم لك. فضرب كل واحد منهما صاحبه فقتله، فوقعا ميتين. وهو مشهور أن علقمة بن صفوان قتله الجن، والله تعالى أعلم.

فى مختار الصحاح (١٩١٠) هدل الشىء: أرخاه وأرسله إلى أسفل وبابه ضرب، فالهدلول هو الضارب وهو سلاح ضارب باتر لا نعرف طبيعته لأن الشق هو الذى يستعمله.

أسباب وجود الشق الآدمى

اختلفت الآراء حول طبيعة وجود الشق الآدمى أو النصف الإنسانى: فمن قائل إنهم نتيجة تناسل الإنسان والجن أو من الشق والإنسان أو أنهم أصلا من قوم عاد الذين كفروا بربهم فعاقبهم الله بأن بدل خلقهم فصاروا على هيئة الشق الآدمى أو النسناس، وقيل كذلك أنهم طائفة مشوهة من الناس ولدوا على تلك الحال ويميل كاتب هذه الدراسة للرأى الأخير.

يقول الدمشقى (المتوفى سنة ٧٢٧ هـ/ ١٣٢٦ م) فى كتابه المسمى نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر (١٩٢٣) عن أرض وبار ما نصه:

أرض وبار إذا دنا الإنسان منها رأى خصبا كثيرا وكروما ونخلا وعيونا. فإذا أراد الدخول إليها حثى وجهه التراب

بقوة وإذا أبى إلا الدخول اتصرع وخنق. ويقال إن إحدى الضلعين بأرض طئ متصلة بهذه الأرض وحكمه حكمها. ويقال إن هذه الأرض معمورة بخلق يسمون النسناس وأنهم خلق متوسطون بين الناس والجان والله أعلم. وذهب بعض الإخباريين إلى أن عادا الأولى كانت أجسامهم عظاما نبيلة جدا فلما أحل الله بهم نقمتهم بكفرهم عاقبهم وبدل خلقهم فصاروا أنصافا أشقاقا كل واحد منهم شق إنسان بعين واحدة ونصف رأس ونصف فم ونصف صدر ويد واحدة وهم النسناس، حائمون مختلطون فى تلك الآجام والغياض إلى شاطئ البحر. ويقال بل هم طائفة على تلك الخلقة وهم ولد النسناس بن أميم بن لاوذ، ومن قرب منهم إلى العمران أفسد الزرع فربما يتبع ويصاد بالكلاب ويؤكل مشويا.

الشق والتشوه الوراثى

الرأى الأرجح بالنسبة للشق الآدمى أنهم طائفة مشوهة من البشر جبلوا على تلك الخلقة لأنهم نسل إنسانى من ولد النسناس بن أميم بن لاوذ. وهم يتكلمون ولا يتكلم إلا الإنسان وبعضهم بطول مفرط ولم نسمع بقرد أو نسناس بطول النخلة كما أن ليس لهم ذيل. وقد يكون ما أصابهم من تشوه نتيجة عوامل وراثية. والتشوهات الوراثية كثيرة عجيبة، ونستعرض فى السطور التالية بعضا من أشهر التشوهات الوراثية التاريخية.

توأم اليمن : ظاهرة التوأمه معروفة ببنى البشر وقد ينتج عنها أن يكون أحد التوأمين أو كليهما مشوها، والظاهرة موجودة كذلك بعالم النبات والحيوان. من التوائم المشهورة ما روى عن الإمام الشافعى حيث قال: دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت فيها إنسانا من وسطه إلى أسفله بدن

امرأة، ومن وسطه إلى فوقه بدنان مفترقان بأربع أيد ورأسين ووجهين وهما متقابلان ويأكلان ويشربان ويغضبان ويصطلحان (عجائب المخلوقات – الجزء السابع، القزوينى، ١٩٦٨).

النساء ذوات الثدى الواحد: ورد ذكر هذه الملاحظة بكتاب رحلة ابن بطوطة (١٩٩٢). يقول هذا الرحالة المدقق الأمين: وفى بعض تلك الجزائر (بالبحر الهندى) رأيت امرأة لها ثدى واحد فى صدرها، ولها ابنتان إحداهما كمثلها ذات ثدى واحد والأخرى ذات ثديين إلا أن أحدهما كبير فيه اللبن والآخر صغير لا لبن فيه فعجبت من شأنهم. هكذا نرى التشوه الوراثى المتمثل فى ضمور أحد الأثداء أو تلاشيها ينتقل من الأم إلى ابنتيها.

النساء ذوات الأثداء الطويلة: ذكر الدمشقى فى كتابه نخبة الدهر المذكور أعلاه عجيبة من عجائب بلاد الفرنج فهو يقول: وببلاد الدير من بلاد الفرنج نساء ثدى المرأة يصل إلى قدميها، وإذا خالفت المرأة يديها إلى وراء أكتافها التفت ثدياها.

هكذا نرى أن التشوهات الوراثية مع العوامل البيئية يمكن أن تؤدى إلى ضمور أو اختفاء ثدى المرأة أو العكس أى طولهما طولا مفرطا حتى يصلا إلى مستوى القدم. أى أن التشوهات الوراثية يمكن أن تؤدى فى حالات نادرة إلى اختفاء عضو من أعضاء جسم الإنسان أو أنها ممكن أن تؤدى إلى النقيض أى نمو نفس العضو نموا مفرطا. وهكذا فكما يوجد توأم ملتصق مكون من وحدتين يمكن أن يوجد العكس وهو شق مكون من نصف آدمى بالطول نتيجة التشوهات الوراثية. ولا يستبعد أن تكون هذه التشوهات المفرطة فى صورة عقاب من الله تعالى على قوم عاد ونسلهم لكفرهم وجحودهم وعصيانهم.

الخلاصـــة

أرض وبارتقع قريبا من الربع الخالى بشبه الجزيرة العربية وكانت ديـارا لبعض الناجين من قوم عاد. فكانت أرضا خصبة كثرت بها القبائل وكـانوا ذوى أجسام منبسطة أى كانوا مـن العمـاليق. ولما لم يعرفـوا حـق نعـم الله عليهم بدل الله خلقهم وجعلهم بصورة مشوهة فى هيئة نصف طولى لإنسـان أو شق آدمى لأحدهم نصف رأس وعين واحـدة ويـد واحـدة ورجـل واحـدة فكـانت معيشـتهم أقـرب مـا تكـون إلى حيـاة الحيوانـات فـأخذوا يرعـون الغابات والزراعات القريبة من المدن فيطاردهم أهل تلك الديار بالكلاب.

ذهبـت الدراسـة الحاليـة إلى أن الشـق الآدمـى يمثـل طائفـة مشـوهة (مسخوطة) مـن البشـر وهـم مـن نسـل إنسـانى مـن ولـد النسـناس بـن أميم بن لاوذ. ومن ميزاتهم كبشـر أنـهم يتكلمـون ويقولـون الشـعر وبعضـهم يطول مفرط وليست لهم أذناب. أظـهرت الدراسـة المبنيـة علـى اسـتعراض حالات التشوه الوراثى التاريخى أنـه كمـا يوجـد تـوأم ملتصـق مكـون مـن وحدتين يمكن أن يوجد العكس وهو شـق مكـون مـن نصـف آدمـى بـالطول نتيجـة التشـوهات الوراثيـة بمسـاعدة العوامـل البيئيـة. قـد تكـون هـذه التشوهات عقابا من الله تعالى – ضمن أنواع متدرجة من العقاب – أصـابت قوم عاد أو ذريتهم نتيجة كفرهم وظلمهم وطغيانهم.

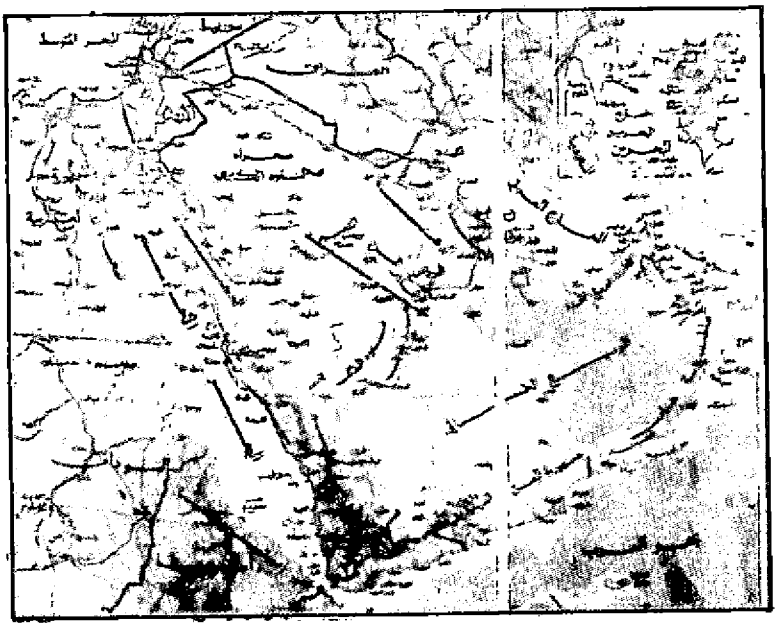

شكل (١١-١) : أرض وبار تقع بين الشحر شرقا إلى صنعاء باليمن غربا ومن جبال يبرين بنجد شمالا إلى سواحل خليج عدن جنوبا وذلك حسب الروايات المتواترة.

المرجع : أطلس جمهورية مصر العربية والعالم، إشراف: محمد محمود الصياد (١٩٨٢).

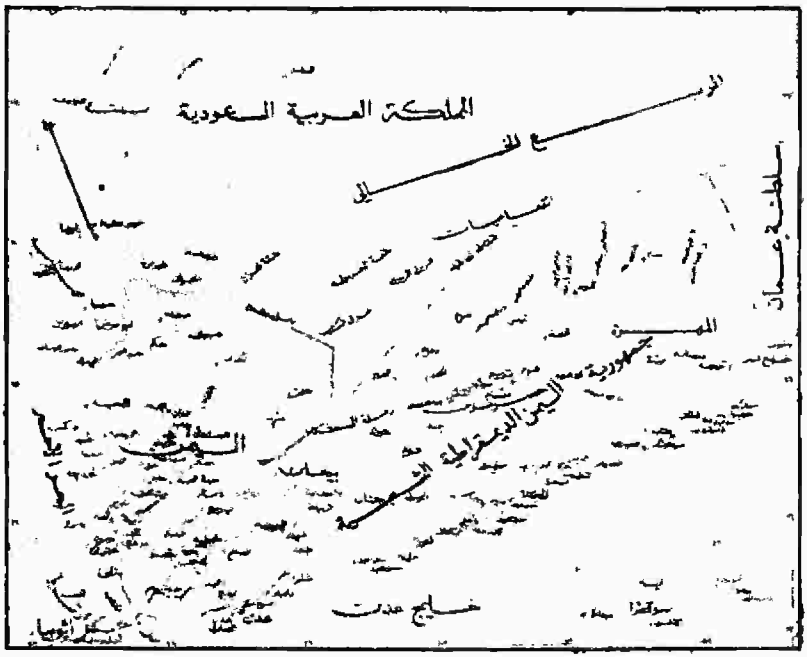

شكل (١١-٢) : قبر سيدنا هود - باليمن الجنوبي - الذى أرسل إلى قوم عاد، شاهدا إلى اليوم على أماكن هؤلاء القوم.

المرجع: أطلس جمهورية مصر العربية والعالم، إشراف: محمد محمود الصياد (١٩٨٢).

الفصل الثانى عشر

آدم .. أبو البشر هل كان عملاقا ؟

تشير الدراسات التاريخية والدينية المستمدة من قصص الأنبياء إلى وجود صنف عملاق من بنى البشر. وقد تأكد نهائيا وجود الإنسان العملاق حيث تمكن بعض الرحالة المسلمين من رؤيته بالعين المجردة وجها لوجه فارض بلاد بلغاريا شرق أوروبا. ومن المعروف أن هؤلاء العمالقة ينتمى نسبهم إلى قبيلة عاد الأولى التى عاشت بالأحقاف جنوب شرق الحجاز وان جدهم عادا كان رجلا جبارا عظيم الخلقة ذا ملك وبأس شديدين.

أظهرت الدراسات ان سبب ضخامة أجسام أو عملقة أجسام هؤلاء القوم إنما ترجع إلى عوامل بيئية وأخرى وراثية. فإذا كان عاد جد العمالقة ضخم الجسم وكان نسبه ينتهى إلى آدم عليه السلام أبى البشر جميعا. فما معنى هذا أن. آدم كان عملاقا ورّث حفيده عادا صفة ضخامة الجسم؟ هذا ما سوف نحاول الإجابة عنه فى السطور والفقرات التالية.

حديث النبى محمد ﷺ عن آدم

فى كتاب البداية والنهاية لشيخ الإسلام الإمام الحافظ المفسر المؤرخ ابن كثير المتوفى سنة ٧٦٤ هـ/ ١٣٧٢ م، العدد الثانى (١٩٩٠)، صفحة ٩٢، ورد الحديث التالى الصحيح عن النبى محمد عليه السلام بخصوص هيئة سيدنا آدم.

روى الحافظ بن عساكر من طريق محمد بن إسحاق، عن الحسين بن ذكوان، عن الحسن البصرى، عن أبىٍّ بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن أباكم آدم كان كالنخلة السَّحُوق، ستين ذراعاً، كثير الشعر، موارّى العورة، فلما أصاب الخطيئة فى الجنة بدت له**

سوأته فخرج من الجنة، فلقيته شجرة فأخذت بناصيته فناداه ربه: أفِـرَاراً منى يا آدم؟ قال: بل حياءً منك يا ربِّ مِمَّا جئتُ به». ثم رواه من طريق سعيد بن أبى عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن يحيى بن ضمره، عن أبىّ بن كعب، عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه. وهذا أصح، فإن الحسن لم يدرك أبَيًّا. ثم أورده أيضاً من طريق خُيثمة بن سليمان الأطرابلسى عن محمد بن عبد الوهاب أبى قرصافة العسقلانى، عن آدم بن أبى إياس، عن شيبان، عن قتادة، عن أنس مرفوعاً بنحوه.

فى كتاب «القصص القرآنى»، العدد رقم واحد عن سيدنا آدم (١٩٨٩)، تحدث المؤلفون عن هيئة سيدنا آدم أبى البشر فقالوا: وكان آدم طويلا فائق الطول، وربما مسح السحاب رأسه فاصلع وأورث أبناءه الصلع، روى البخارى عن أبى هريرة أن النبى محمد صلى الله عليه وسلم قال: «**خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا**»، وأخرجه مسلم.

جاء فى الطبقات الكبرى لابن سعد (القصص القرآنى – آدم عليه السلام، ١٩٨٩): حين نزل آدم من الجنة، وكان طوله ستين ذراعا، ولم يجمع حسن آدم لأحد من ولده إلا ليوسف. وأنشأ آدم يقول: رب كنت جارك فى دارك، ليس لى رب غيرك ولا رقيب دونك، آكل فيها رغداً، وأسكن حيث أحببت، فأهبطتنى إلى هذا الجبل المقدس فكنت أسمع أصوات الملائكة وأراهم كيف يحفّون بعرشك، فأجد ريح الجنة وطيبها، ثم أهبطتنى إلى الأرض وحططنى إلى ستين ذراعا فقد انقطع عنى الصوت والنظر، وذهب عنى ريح الجنة، فأجابه الله تبارك وتعالى: [لمَعْصِيَتُك يا آدمُ فَعَلْتُ ذلك بكَ].

إن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الأول بخصوص هيئة سيدنا آدم: أن أباكم آدم كان كالنخلة السحوق.. يتضمن بعض الألفاظ التى

تحتاج إلى شرح وتوضيح، عددها ثلاثة، بالإضافة إلى توضيح الخلاف فى موضوع رواية الحديث، وبيان هذه الأمور الأربع على النحو التالى.

(١) **السحوق** : سحقت النخلة: طالت. السّحوق: الطويل أو الطويلة. يقال: عود سحوق ونخلة سحوق وامرأة سحوق، جمع سحق (المعجم الوسيط - الجزء الأول، ١٩٧٢).

(٢) **ستين ذراعا**: الذراع السوداء من وحدات قياس الأطوال قديما عند العرب وطولها = ٤٩,٣ سنتيمترا (العرب وعلوم الأرض، ١٩٨٨). بناء عليه يكون طول سيدنا آدم بالمقاييس الحالية = (٤٩,٣×٦٠)/١٠٠= ٢٩,٥٨ = ٢٩,٦ مترا أى حوالى ثلاثون مترا.

(٣) **الخطيئة**: الذنب المقصود المتعمد وجمعها خطيئات وخطايا (معجم ألفاظ القرآن الكريم - المجلد الأول، ١٩٧٠). وإصابة آدم الخطيئة: قصة معروفة وفيها أكل آدم وحواء من الشجرة المحرمة بالجنة تحت تأثير إغراء إبليس فبدت لهما سؤاتهما وظهرا عاريين وهبطا إلى الأرض متفرقين.

(٤) **وهذا أصح فإن الحسن لم يدرك أبيًا** : رواية الحديث عن الحافظ بن عساكر فيها ثغرة وهى أن الحسن البصرى لم يدرك زمن أبى بن كعب حتى يروى عنه، ولذلك أورده مرة أخرى بنحوه عن طريق سعيد بن ابى عروبة وعن طريق خيثمة. ومنه يستنتج أن الحديث صحيح فى مدلوله.

الحديث الشريف يبين أن أبينا آدم كان طويلا فائق الطول «كالنخلة السحوق» يصل طوله إلى حوالى ثلاثين مترا. ورغما عن غرابة هذه الصفة إلا أنه لا يوجد فى الوقت الحالى ما يناقضها وبالأخص إذا أخذنا فى الاعتبار أن بعض ذرية آدم (مثل عاد جد العماليق) انتقلت إليه هذه

الصفة وكان عملاقا يتصف بالطول المفرط وضخامة الجسم وإن كـان بدرجـة أقل من طول جده آدم.

ذكر قدم آدم بجبل سرنديب

ورد ذكر قدم أبينا آدم بكتاب «رحلة ابـن بطوطـة» حيـث وصـف هـذا الرحالة المدقق القدم العتيق بعـد أن وصـل إليـه بقمـة جبـل سـرنديب ورآه رؤية العين، قال فى وصفه، صفحة ٥٩٩، ما نصه:

> وأثر القدم الكريمة، قدم أبينا آدم، صلى الله عليـه وسـلم، فى صخرة سوداء مرتفعـة بموضـع فسيح. وقـد غـاصت القـدم الكريمة فى الصخـرة حتـى عـاد موضعـها منخفضـا، وطولهـا أحد عشر شبرا. وأتى إليها أهـل الصين قديمـا، فقطعـوا مـن الصخرة موضع الإبهام وما يليه، وجعلـوه فـى كنيسـة بمدينـة الزيتون يقصدونها من أقصى البلاد.

قياسات ونسب

ذكر ابن بطوطة فى كتابه المشار إليه أعلاه أن طول قدم أبينا آدم أحـد عشـر شبرا. والشبر الحالى طوله ٢٢ سنتيمترا (جيولوجية القمر، ١٩٨٠). بناء عليـه يكون طول قدم آدم = (١١ × ٢٢) / ١٠٠ = ٢,٤٢ مترا. ونسبة طـول قدمـه إلى طول قامته = ٢,٤٢/ ٢٩,٥٨ = ٠,٠٨٠ ، وبما أن قدم الإنسان المعاصر تبلغ ١/ ٦ طوله (لغز الإنسان العملاق بأوروبـا، ١٩٩٧) أى ١/ ٦ = ٠,١٦٧ مـن الطـول، فتكون النسبة الحالية ضعف النسبة الأولى تقريبا. وهذا يؤكـد أن هنـاك احتمـالاً كبيرا أن تكون القدم العتيقة بجبل سرنديب هى قدم سيدنا آدم حقيقة.

لكى نقرب الصورة أكثر للأذهان نفترض أن نسبة طول قدم آدم إلى طـول قامته بالتقريب كنسبة ٢,٥٠/ ٣٠ = ٠,٥/ ٦ وبمقارنة هذه النسبة بمثيلتها للإنسـان المعـاصر وهـى ١/ ٦ يتضـح أن النسـبتين لهمـا نفـس الرتبـة وإن اختلفت مقاديرهما الحسابية بعـض الشـىء. وهـذا يـدل مـرة أخـرى علـى

وجود احتمال كبير بأن تكون قدم جبل سرنديب هى قدم أبينا آدم عليه السلام. هذه النتيجة المذهلة تمثل إعجازا حقيقيا لحديث الرسول عليه السلام بخصوص هيئة سيدنا آدم وتصديقا لما قاله هذا النبى الكريم ولا عجب فإنه لا ينطق عن الهوى وإنما هو وحى من الله جل وعلا.

تفسير اختلاف النسب

والآن علينا أن نناقش بموضوعية السبب فى اختلاف نسبة طول القدم إلى طول القامة بين أبينا آدم وبين النسبة المماثلة الخاصة بالإنسان المعاصر. ولتفسير هذا الاختلاف نعرض الأسباب الخمسة التالية.

أولاً : أن هناك خطأ فى معادلة طول الذراع القديم. فإذا افترضنا جدلاً أن طول الذراع القديم = ٢٥ سنتيمترا أى نصف طوله المقدر أعلاه، فيكون طول آدم = (٦٠ × ٢٥)/ ١٠٠ = ١٥,٠ مترا وتكون النسبة بين طول القدم إلى طول القامة فى هذه الحالة = ٢,٤٢/ ١٥ = ٢,٥/ ١٥ = ١/ ٦ مساوية للنسبة الحالية تماما للإنسان المعاصر.

ثانياً : أن هناك خطأ فى قياس طول الشبر. من الجائز أن الشبر القديم كان أطول إلى حد ما من الشبر المعاصر، وطبعا هذا التغير يتبع تغيرا آخر فى حجم جسم الإنسان. ويترتب على ذلك أن طول قدم آدم يكون أكبر مما هو عليه الآن.

ثالثاً : أن هناك خطأ فى قياس طول القدم العتيق. فمن الجائز أن تكون بصمة هذا القدم أطول مما ذكر. ومن المحتمل أن تكون عوامل التعرية والتحات أثرت على طبعة القدم بالصخر فجعلت نهايته من الخلف غير واضحة تماما مما أثر على القياس وجعله أقل مما يجب.

رابعاً : فعل عوامل التطور. قد يكون أبينا آدم خلق أصلا بقدم قصيرة نسبيا، لكن مع كثرة استعمال هذا العضو فى الأجيال المتعاقبة، فإن طوله وحجمه قد زاد بينما قل طول القامة، الأمر الذى يؤثر فى النهاية على

النسبة بين طول القدم وطول القامة ويجعلها تزداد إلى أن تصل ضعف قيمتها.

خامساً : من الممكن أن تجتمع هذه العوامل الأربعة السابقة معا لتعطى ارتفاعا مستمرا في النسبة المذكورة.

على العموم يكفينا ما توصلت إليه هذه الدراسة من وجود احتمال قوى بأن تكون القدم العتيقة بجبل سرنديب بالهند لأبينا آدم ويكون طوله الأصلى صحيحاً وفقا للحديث النبوى الشريف ويتراوح بين ١٥ ـ ٣٠ متراً، وهذا أحد أوجه الإعجاز فى الحديث الشريف. وبما أن أبينا آدم امتلك هذا الطول المفرط والحجم العملاق فلا ريب أنه ورّثه لبعض أولاده وأحفاده ولذلك جاء عاد (جد العماليق) ضخما جسيما وجاءت ذريته من بعده من العماليق كذلك. ومع تطور الزمن صغر حجم الإنسان بصفة عامة وزادت كفاءته وقلت نسبة العماليق بين بنى الإنسان حتى كادت تتلاشى تماما فى وقتنا الحاضر، فسبحان مقلب الأمور ومغير الأحوال، وكان تغير حجم الإنسان مع الزمن مسايرا لتغير الظروف البيئية من حوله.

الخلاصة

فى هذه الدراسة تعرضنا لصفة أبينا آدم من حيث الطول وهل كان عملاقا أو غير ذلك. استندت الدراسة لحديث نبوى شريف عن هيئة سيدنا آدم من ناحية الطول ورد فى كتاب البداية والنهاية للإمام الحافظ بن كثير. واعتمدت الدراسة كذلك على وصف بصمة قدم آدم بالصخر بجبل سرنديب بالهند كما جاء بكتاب «رحلة ابن بطوطة». توصلت الدراسة إلى وجود احتمال قوى بأن تكون القدم العتيقة بجبل سرنديب لأبينا آدم ويكون طوله الأصلى صحيحا وفقا للحديث النبوى الشريف ويتراوح بين ١٥ ـ ٣٠ مترا. وهذا إعجاز حقيقى للحديث النبوى الشريف.

المراجع

للجزئين الأول والثانى

مراجع أصلية :

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر. تأليف : أبو الحسن على بن الحسين ابن على المسعودى. توفى سنة ٣٤٦ هـ/ ٩٥٦ م. تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد. كتاب التحرير بالقاهرة. صدر سنة ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م.

(٢) رسائل أخوان الصفا وخلان الوفا. تأليف: الإمام أحمد بن عبد الله وآخرون. كتبت الرسائل حوالى سنة ٣٥٠ هـ/ ٩٦١ م. الناشر: دار صادر فى بيروت. غير محدد سنة النشر.

(٣) كتاب فقه اللغة. عمل : الإمام أبو منصور بن إسماعيل الثعالبى النيسابورى. توفى سنة ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٨ م. طبع : بمطبعة الآباء اليسوعيين فى بيروت، سنة ١٨٨٥.

(٤) كتاب آثار البلاد وأخبار العباد. تصنيف: الإمام زكريا بن محمد بن محمود القزوينى. المتوفى سنة ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣ م. الناشر: دار صادر فى بيروت، سنة ١٩٩٢.

(٥) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. تأليف: الإمام زكريا بن محمد بن محمود القزوينى. المتوفى سنة ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣ م. كتاب التحرير رقم ١٣٢. طبع: بمطابع شركة الإعلانات الشرقية. الناشر: دار التحرير للطبع والنشر بالقاهرة، سنة ١٩٦٨.

(٦) كتاب نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر. تأليف: الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد أبو طالب الأنصارى الصوفى الدمشقى. توفى سنة ٧٢٧ هـ/ ١٣٢٦ م. الطبعة الثانية. الناشر: أ. مهرن. طبع: بمطبعة أوتوها راسويتز، ليبزج، سنة ١٩٢٣.

(٧) البداية والنهاية – المجلد الأول – العدد ٢. تأليف: الشيخ الامام عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير. المتوفى سنة ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢ م. الناشر: دار الغد العربى بالقاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٠.

(٨) كتاب رحلة ابن بطوطة. تأليف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتى المعروف بابن بطوطة. المتوفى سنة ٧٧٩ هـ/ ١٣٧٧ م. الناشر: دار صادر فى بيروت، سنة ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.

(٩) كتاب حياة الحيوان. تأليف: كمال الدين محمد بن موسى الدميرى. المتوفى سنة ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م. كتاب الجمهورية، الناشر: دار التحرير للطبع والنشر، الموزع: شركة التوزيع المتحدة بالقاهرة، سنة ١٩٩١.

(١٠) تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب. تأليف: الشيخ داود الأنطاكى. توفى سنة ١٠٠٨ هـ/ ١٦٠٠ م. طبع: بالمطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى، سنة ١٣٤٥ هـ/ ١٩٢٦ م.

مراجع ثانوية:

(١١) قصص الأنبياء. تأليف: عبد الوهاب النجار. الناشر: مكتبة دار التراث بالقاهرة، سنة ١٩٨٥.

(١٢) القصص القرآنى – سلسلة، العدد رقم ١: آدم عليه السلام. عمل: حمزة النشرتى وعبد الحفيظ فرغلى وعبد الحميد مصطفى ومحمد شعلان. توزيع: مؤسسة الأهرام بالقاهرة، سنة ١٩٨٩.

(١٣) حياة الأنبياء: بين حقائق التاريخ والمكتشفات الأثرية الجديدة. تأليف: دكتور/ عادل طه يونس. الناشر: مكتبة القرآن بالقاهرة، الموزع: مكتبة ابن سينا، سنة ١٩٩٠.

(١٤) الإنسان فى القرآن. تأليف: عباس محمود العقاد. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، سنة ١٩٩٧.

(١٥) تاريخ الأدب الجغرافى العربى – القسم الأول والثانى. تأليف: المستشرق الروسى: أ. يو. كراتشكوفسكى. ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم. طبع: بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، سنة ١٩٦٣.

(١٦) الجيولوجيا. تأليف: الدكتور/ حسن صادق. طبع: بمطبعة مصر. الموزع: المكتبة الحديثة بالقاهرة، سنة ١٣٤٧ هـ/ ١٩٢٩ م.

(١٧) أساسيات تاريخ الأرض. تأليف: ويليام لى ستوكس. الناشر: شركة برينتس هول الهندية المحدودة، نيودلهى، سنة ١٩٦٥. كتاب باللغة الإنجليزية.

(١٨) الجيولوجيا مبسطة. تأليف: ويليام ماتيوس الثالث. الناشر: شركة دبل داى المحدودة، نيويورك، سنة ١٩٦٧. كتاب باللغة الإنجليزية.

(١٩) تاريخ الحياة (على الأرض). تأليف: أ. لى مكالستر. الناشر: مؤسسة برينتس هول، نيو جرسى، أمريكا، سنة ١٩٦٨. كتاب باللغة الإنجليزية.

(٢٠) الجغرافيا عند العرب. تأليف: شاكر خصباك. موسوعة الحضارة العربية الإسلامية – المجلد الأول. الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر فى بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٧.

(٢١) جيولوجية القمر. تأليف: دكتور/ على على السكرى. الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، سنة ١٩٨٠.

(٢٢) الآلات الحجرية وعصور ما قبل التاريخ. تأليف: الدكتور/ على على السكرى. سلسلة الكتب الجغرافية. الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، سنة ١٩٨٦.

(٢٣) العرب وعلوم الأرض– الطبعة الثانية. تأليف: الدكتور/ على على السكرى . الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، سنة ١٩٨٨.

(٢٤) كنوز المناطق المجهولة. مقال مترجم عن: مجلة تايم وسبوتنك ونيوزويك. مجلة العلم، العدد ٢٤٣، ديسمبر ١٩٩٦.

(٢٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم – المجلد الأول والثانى. إصدار: مجمع اللغة العربية بالقاهرة. الناشر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م.

(٢٦) معجم مختار الصحاح. عمل: الامام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى. طبع: على نفقة نظارة المعارف بمصر. الطبعة الثانية، طبع بالمطبعة الأميرية بمصر، سنة ١٣٢٨ هـ/ ١٩١٠ م.

(٢٧) المعجم الوسيط – الجزء الأول والثانى. عمل: مجمع اللغة العربية بالقاهرة. الطبعة الثانية. طبع: بمطابع دار المعارف بمصر، سنة ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م.

(٢٨) معجم الكلية القياسى – معجم باللغة الإنجليزية. الناشر: شركة فونك وواجنالز، نيويورك، سنة ١٩٦٣.

(٢٩) الأطلس الحديث. عمل: محمد حمدان ولبيب العسال. الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، سنة ١٩٤٦.

(٣٠) أطلس جمهورية مصر العربية والعالم. إشراف: الدكتور/ محمد محمود الصياد . الناشر: مؤسسة سعيد الصباغ فى بيروت، سنة ١٩٨٢.

نبذة عن التاريخ العلمى

الأستاذ الدكتور على على السكرى

١ – حاصل على بكالوريوس العلوم بتقدير جيد جدا من جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٩.

٢ – حاصل على ماجستير العلوم من جامعة الإسكندرية سنة ١٩٦٤.

٣ – حاصل على الدكتوراه فى كيمياء الأرض من جامعة الإسكندرية سنة ١٩٧١.

٤ – نال درجة أستاذ مساعد فى ١٩٧٦/١١/١٤ عن جدارة ثم نال درجة أستاذ فى ١٩٨٢/٩/١ عن استحقاق.

٥ – يعمل حاليا أستاذ كيمياء الأرض بهيئة المواد النووية.

٦ – أنجز فى النرويج بنجاح دراسة جيوكيميائية منشورة هناك بإحدى المجلات العلمية العالمية.

٧ – حائز على درجات الزمالة فى الجمعيات العلمية العالمية التالية:

F.G.S. (London), M.M.S. (London),

M.G.S. (U.S.A), M.G.S. (Egypt).

٨ – شغل وظيفة أمين عام جمعية خريجى كليات العلوم والمشرف على تحرير مجلة رسالة العلم خلال المدة من ١٩٧٨ – ١٩٨٢.

٩ – خبير لجنتى الجيولوجيا والنفط بمجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ إبريل ١٩٧٨.

١٠ – عضو اللجنة القومية لتاريخ وفلسفة العلوم منذ مارس ١٩٧٨ حتى الآن.

١١ – حاصل على جائزة الدولة التشجيعية فى العلوم لسنة ١٩٧٩.

١٢ – حاصل على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى سنة ١٩٨٠.

١٣ – قام بنشر العشرات من الأبحاث والمقالات والتقارير العلمية كذلك أشرف على إنجاز العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه.

١٤ – أدخل فرعا جديدا فى الدراسات الفلسفية لعلوم الأرض وهو «تاريخ علوم الأرض» وبالأخص تاريخ هذه العلوم خلال فترة الحضارة العربية فى العصور الوسطى وقام بنشر أربعة كتب فى هذا المجال بالإضافة إلى أكثر من أربعين بحث ومقال.

١٥ – أكتشف فى ١٩٨٥/٢/٨ وما بعده بعض القطع الأثرية من العصر الفرعونى والرومانى بمدينة دمنهور بجمهورية مصر.

١٦ – اختير فى سنة ١٩٨٦ كواحد من الشخصيات العلمية بمصر ضمن الموسوعة القومية للشخصيات المصرية الهامة والتى تصدرها الهيئة العامة للاستعلامات.

١٧ – عضو مجلس العلوم الأساسية شعبة العلوم البينية بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا اعتبارا من إبريل ١٩٨٩ حتى الآن.

١٨ – عضو مجلس إدارة الجمعية الجيولوجية المصرية وسكرتير تحرير مجلتها خلال المدة من سنة ١٩٨٨ – ١٩٩٠.

المحتويات

صفحة

مقدمة الكتاب ٣

الجزء الأول : الوحوش الخفية

الفصل الأول : هل عاصر أسلافنا أواخر الديناصورات ؟ ٩

الفصل الثانى : أسلاف الأفيال بأرض الشام ١٦

الفصل الثالث : الصناجة : أكبر حيوان برى عرفه الإنسان ٢٣

الفصل الرابع : التنين العجيب ٣٠

الفصل الخامس : الديناصورات الطائرة ٣٩

الفصل السادس : الرخ.. طائر عملاق بائد ٤٤

الفصل السابع : عجائب النبات والحيوان بجزيرة القمر ٥٣

الجزء الثانى: الإنسان العملاق

الفصل الثامن : لغز الإنسان العملاق بأوروبا ٦٥

الفصل التاسع : عماليق من بلاد الرافدين ٧٧

الفصل العاشر : عماليق مكة ٨٣

الفصل الحادى عشر : عماليق من صحراء وبار ٨٩

الفصل الثانى عشر : آدم أبو البشر: هل كان عملاقا؟ ١٠٠

المراجع للجزئين الأول والثانى ١٠٦

التاريخ العلمى للمؤلف ١١٠

رقم الإيداع	١٩٩٩/٨٨٨٥
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-5652-0

١/٩٨/٤٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)